

الحرار المُنْتَخَر

فِي حِكْمَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَار

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ: علي بن عبد الخالق القرني

تفريغ: أبي الوليد المغربي

منتدى فرسان السنة: خير الناس أنفعهم للناس

Forsanhaq.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي حِكْمَةِ الْحَقِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نحمده حمدا كثيرا جمًا، على جزيل فضله والنعم

لا تُحصى ثناء عليه ولو أثنا أحدنا ما أثنا

له الحمد ما أولاه بالحمد والثنا، له الحمد حمدا طيبا يملأ السما، وأقطارها والأرض والبر والبحرا، له الحمد
مَقْرُونًا مع الشكر دائما له الحمد في الأولى له الحمد في الأخرى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفعنا إلى المقام الأسنى، ندّخرها ليوم الفصل {يوم لا يغني
مولي عن مولى شيئا}.

وأشهد أن محمدا عبده ورسول خير من دبّ على الثرى، {ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا
وحي يوحى}. سبقت به البشري ونزل فيه وعليه: {سبحان الذي أسرى}.

سَادَ الْوَرَى بلا امْتَرَى فهو المُجَلَّى والوَرَا إلى ورا.

صلى عليه ربنا وسلمنا، ما استقبلت أودية غيث السما

وما انتهى أمر وتم وانقضا

وعلى أبي بكر فقد سبق الورا فضلا وتصديقا له مذ أسلما

وعلى الفتى عمر الذي بجهاده في الله حلّ بسيفه ما استبهما

وعلى شهيد الدار عثمان الذي منه قد استحييت ملائكة السما

وعلى أبي السبطين حيدرة الذي مازال في الحرب الهزبر الضيغما

ما بدر تمّ في دجى الليل أضا، والآل والصحب الكرام الأتقيا

أهل الديانة والصيانة والحيا، والتابعين ذوي الأمانة والوفا

ما لاح برق في الأباطح أو خبا، وتناوحت ورق الحمايم في قبا

أو قال ذو كرم لضيف: مرحبا.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}.

أما بعد :

فيا من أحسبهم ليوث غابة، وغُيُوث سحابة. يابسمة التَّغَر، ودُرَّة البحر، وقلادة النحر. واسطة العِقد،
وَقَرارة العِد، وتاجَ اليوم والغد.

شَمَّ الأنوفِ ذوي النفوس الزاكية، مَنْ وُدُّكم في عَمقِ عُمقِ فؤاديه، عليكم من حِمى البيت العتيق، سلام عَلِّ
بالراح العتيق، سلام حَلَّ بالاحشا ومنه تضيئ ملامح الوجه العتيق.
فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ما حنَّت النيب إلى الفصال، وتعلل المحبون بذكر أزمئة الوصال.

سلام في ثناياه سرور، وسامعه من الأحزان ناجي

كشَهِدٍ في زُلالٍ بل كُروحِ سَرَتْ في جِسْمٍ معتدل المزاجِ

وأهلاً وسهلاً كُلِّمَا نَسَسَ الصِّبَا

بَنَيْتُمْ بأقصا القلب ملهى وملعباً

فأعشب واديه وطابت ثماره، وأمرَعَ مَرَجٌ كان بالأمس مُجديبا

لا فُلٌّ مِنْكُمْ غَرْد، ولا رُوعَ لَكُمْ سِرْب

أعطاكم المولى العطايا الوافية، وأدام فوقكم سماء العافية، وحباكم الرُّتَب العظام السَّامية.

بارك الرحمن في أعماركم، ورعاكم في ذهاب وإياب

ولا زال ذكركم في صعود، ولا زال حبي لكم في ازدياد

معشر الإخوة:

لا يكاد يخفى أننا نعيش عصر تدافع ومُغالبة ومعانات وآلام عُظمى، وتسافل وطَيْشٍ وتصرفات رَعناء.

نعاني فيه من أذيال غرب ومن أتباع نهج أبي رِغال.

فبعد تساقط أنظمة طاغوتية في أزمنة قياسية، هبَّت الأذيال مع أبي رِغال تحاول جاهدة إعاقة السفينة عن

إطلاق الشراع، أو خرقها لتستقر في القاع.

تُقَلِّدُ الغرب إلحاداً وزندقة ومن تحلَّله تجني وتشتارُ

ولا تقلده صنعا وتقنية ولا انطلاقاً له نفع وأثمارُ

للأمر بالمعروف منهم خنجر يُدْمِي وشتم مُعلنٌ وسِيابُ

ولكل أنغى بالعفاف تزينت منهم سهام تآمر وحِرابُ

أبواق عَوْلَة وعِلْمَة لها فينا نعيقُ شائن ونُعابُ

يتناغمون تناغم القِطَط التي تَسْطُكُ لما تُدْعَسِ الأَذْنَابُ
 الغارات منهم على الدين والفضيلة شعواء، زندقة وشبهات وأهواء، ردُّ للسنّة الغراء، محاولة لتطبيع الفساد
 وحمايته بلا حياء، مع تقديم للروبيظات السفهاء.
 تُشَنُّ علينا غارة بعد غارة فلله ما تُرْمَى به ونُصاب
 إذا ما مضى عنا مُصابُ أهالنا دهانا مصابٌ بعده ومصابٌ
 وضاعت علينا في الخطوب رحابٌ، وقام مقام الرأس فيه دُئابٌ
 يُذادُ عن العَذْبِ النَّمِيرِ ابن حُرّةٍ وللذِّلِّ فيه مَوْرَدٌ وشرابٌ
 ويُملي على شَمِّ الرجال أراذلٌ وتسطوا على ليث العرين كلابٌ
 ويَصْدِرُ المأفون والزندق
 ويقال للرجل البليد: محنّك ويقال للأدب الرخيص: عقيقٌ
 وتَغْرِيدُ البَلابل في خُفوتٍ ويطرق سمعنا صوتُ زَعِيقٍ
 إنه عصر وديّنه:
 أينما تنظر تجد عجا، أينما تنظر تجد ألما
 فالشام تَغْرَقُ في المدامع والدِّماء ويعيثُ قرد في المدائن غاصبا
 مالي وبورما تستغيث وما بدا شَهْمٌ وهَمَامٌ يَشُلُّ النَّاهِبَ
 والرفض ضد بني الإسلام قد كشفت ما أضمرت من نوايا مكرها حِقبا
 وكشَّرت عن نيوب الحقد وارتكبت ما دونه بطش هولاءكو وما ارتكبا
 وصارمُ العز في أيد الأُباتِ أبا فاستبدلت بالجهد اللهو والطربا
 فلا غرابة إن دَسَتْ كرامتها ونال منها أعاديها ولا عجا
 أصابعها في النار تُشوى وتذُلُّها على جمرها المشبُوبِ راح يَهْفَهُفُ
 ماتت مشاعرهم فما لقلوبهم نبضٌ يرقُّ وما لهنَّ عواطفُ
 يأكلون مع الذئب ويصيحون مع الراعي.
 يتناقلون عن الصلاح فإن بدا، وجه الفساد فمُقبِلٌ ومقارِفُ
 في كل ناحية تظل كلابهم تعوي وتزحف في الطريق زواحفُ
 والغرب يُرضعهم برجس لبانه
 هدم الشريعة حلمهم وخيالهم

وسيرجعون بخيبة في فالهم ، فدونما يبتغون اليوم حوباءً
ههيهات يخبو ضياء الحق وهو شجى للظالمين وللظمان إرواء
قِمم الفضيلة ما تزال حصينة مهما رماها بالمعاول فاسق
والعروة الوثقى ستجمع شملنا يوماً وإن رفع العقيرة ناعق
ينابيع من الإسلام تُسقى وربى لن تجفّ وسوف تبقى
ينابيع وفي الجريان سيل تُدكُّ به زنادقة وحمقى
ذباب سَوَّطت من حَوْلِ طَوْدٍ وقَمَّتْهُ لِهَامِ النّجم ترقى
يحمل الإعصار في طيّاته مذهب الشر ويبقى مذهبي
وكتاب الله محفوظ بما وعد الرّحمن ما حيّ بقي
وهو يجري في الشرايين وإن بات فينا صامتا كالمطرق
إن حكمنا بأخلاقه حياتنا ما نبيل منا أبدا
والله لو كادوا السنين وخططوا ، لا يحلمون بمائنا الرّقراق
فدونك أخلاق القرآن ماثلة للعيان في سيرة وشماثل من خلقه القرآن عليه الصلاة والسلام.
ألد من النُّعمى وأحلى من المُنَا وأحسن من وجه الحبيب المواصل
أطالعها في كل وقت فأجتلي عقائل يُغلي مهرها كل عاقل
لم تلهني اللذات عنها والمنى أو تُصبني يوماً حسان خرد
فإن ذكر الشعراء أعلام عصرهم ذكرت الذي من هديه الكون يبهج
وإن ذكروا ليلي ولُبّني فإنني بذكر الحبيب الطيّب الذكر مُلهج
عليه صلاة الله ما هبّت الصبا وما لاح فجر نوره مُتبّج
فمن نفح إلى عرف وإيماض وإكليل
مع رضاب سائغ طعمه لي كل وقت منه كأس بهاق
تلاه زرياب شرى برقه في إثره الجادي نو الاثلاق
وبعده فاح اليلنجوج لنا وقال في تيه أنا ابن جلا
بالأمس : والوظفاء تهادا لنا بوبلها والرع قد زمزما
واليوم: قد أم العرار أمّا ، تحبّه النفوس حبّا جمّا
فنشره الزاكي ينمّ نما ، من شمه قال: كُفيت الهم

العرار ما العرار، أيها الأبرار:

نبت طيب الريح يقال له البَهَار، بل هو النَّرْجَسُ البرِّي الذي دعا إلى التمتع به وبنسيمه القُشِيرِي:

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي بنا بين المُنِيفَةِ فالظُّمارِ

ألا يا حبذا نفحاتُ نجد وريًا رَوْضِهِ غَبَّ القِطارِ

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سَرَارِ

تمتّع من شَمِيمِ عَرار نجدٍ فما بعد العشيّة من عَرَارِ

وعرار الليلة بريّاهُ يفوق كل عرار، لأنه في خُلُق خاتم المصطفين الأخيار عليه الصلاة والسلام.

خلقُ ما شاهدت في مشرق مثله عينٌ ولا في مغرب

يحنّ له القلب والناظر، وتزكو به النفس والخاطرُ

ويشتاقه الكون والكائنات وعن وصفه يَعْجَزُ القادرُ

عرار يقول:

الأخلاق الأخلاق يا أمة متمم مكارم الأخلاق.

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تَدَنَّتْ فللتدمير والنَّقمِ

ومن تكن برسول الله أُسوته ما ضارعتَه على الأخلاق بنت فم

عرار ينادي:

الأفعال الأفعال مقرونة بالأقول.

تبقى العبارات جوفى لا غَنَاءَ له حتى يصدّقها يا صاحبي العملُ

ألف تصريح وألف خطبة لا تساوي طعنة في المقتلِ

عرار يقول:

تحسّن بأفعالك الصالحات ولا تُعْجَبَنَّ بحسن جليل.

فحسن النساء جمال الوجوه وحسن الرجال وجوه الجميل

وإن لم تَجِدْ بجميل الخلال فماذا الذي بعدها تبذل

عرار يقول:

أيا أحبابنا في الشام صبرا على هذا التخاذل والهزال

ولا تخشوا مُكَاثِرَةَ الأعادي وخَشْخَشَةَ الرِّوَاحِفِ والسَّحَالِي

ولودنوا بالذي يحمي ضعيفا ويهزم باغيا ربّ الجلالِ

فعند الله نصرٌ حين يأتي سينقض ما تشابك من حبال

وينسف ليل تجار الضلال

ارقبوا الفجر فمن آياته شدة الظلمة بالليل العنيف

عرار يقول:

بلاء ليس يشبهه بلاء، عداوة غير ذي حسب ودين

يُبِيحُكَ مِنْهُ عَرْضًا لَمْ يَصْنُهُ وَيَرْتَعْ مِنْكَ فِي عَرْضِ مَصُونٍ

إنه عرار يقذف بحروفٍ من جندَلٍ وخَرْدَلٍ، وسَمومٍ وحميمٍ وحنظلٍ، على كل ذي خُوارٍ وتُغَاءٍ، وطنين وعواءٍ،

ونهيق ونعيق، وشهيق ونقيق، من شَفْدَعٍ ضَفْدَعٍ، ووضعٍ رَضِيعٍ، وسخيفٍ رَقِيعٍ، ولئيمٍ زَنِيمٍ. يحاول النيل

من جناب العلي العظيم ومقام ذي الخلق العظيم، وكل صاحبي وتابعٍ كريم يقول:

ألا اخسأ شريك الكلب في كل مَطْعَمٍ

وَلَحْسًا لما في القَعْبِ من فَضْلٍ سُورِهِ وقد عاث فيه باليدين وبالفم

تقاصر فما شمسُ الظَّهيرةِ كالسُّهى

ولا الضَّيْغُمُ الضَّاري يُرْجِعُ زَأْرَهُ بِهِجْمَتِهِ كالكلب في قَفْرِهِ عَوَى

رُوَيْدُكَ أَقْصِرْ فَإِنِّي سُهَيْلٌ متى يطلعن مات ولد الزَّناء.

سَأَحْلِيكَ من لآلي القَوافي أَحرفًا تُفْسِدُ الْحِجَا والأَدِيمَ

إن لي في مقاصد الهجو أرقى سُلْمٍ لو وَجَدْتُ عرضاً سَلِيمًا

أنت لُوْمٌ وأصل أصلك لُوْمٌ وهو لُوْمٌ أما كفى اللُوْمُ لُوْمًا

ولأنت الزَّئِيمُ معنَى وَسِيمًا

الهجو لما أن هجوتك قال لي: لم تَهْجُهُ بي بل به تهجونني.

فكنْ كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يميناً وأرعد شمالاً

نجا بك لُوْمُكَ منجى الذباب، حمته مقاذيره أن يُنالَ

فلا شِيْمَةٌ فيك ولا نخوة تُرْجى، ولست بمدحٍ تَصْلَحُن ولا هجا

فدونك دونك هذا الدواء، ففي مثل لُوْمُكَ قد جربا

—وعذرا لهذه الوجوه الوضا، فعند الضرورات نأتي الكنيف—

فَخُذْ مِنْ هَنا هَرٌّ وِكلبٍ مُبَرَّصٍ مُسِنَّ بِهَيْمِ اللَّوْنِ ليس بأَبْلَقِ

وصَيْرُهُ أَقْرَاصًا صِغارًا وحُلَّها بِريقُك وأَبْلَعْ تُفْلَها وتَمَطَّقْ

وَعَرَّغَرُ بِهِ عِنْدَ الرُّقَادِ وَبَقْبِقِ ، وَخُذْ مِنْهُ مَا تَهْوَى عَلَى الرِّيقِ وَالْعَقِ
وَدَاوِمْ عَلَى هَذَا الدَّوَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ شَيْءٍ تَغْنِذِيهِ وَأَوْفَقِ
وَإِيَّاكَ لَا تَسَامُ وَخُذْ بِوَصِيَّتِي ، فَإِنَّكَ إِنْ تَأْخُذَ بِهَا لَا تُؤَفَّقِ
عَلَى أَنَّهُ صَعِبَ مَعَانَاتِ أَحْمَقِ .

وَيَا جَعَسَوَيْهِ أَحْسُوْ الَّذِي قَدْ جَنَيْتَهُ فَمِثْلُكَ حَاسٍ مَا جَنَاهُ وَشَارِبُ
وَإِنْ عَدْتُمْ عَدْنَا وَكَانَتْ نَعَالُنَا حُضُورًا لِأَقْفَاكُم وَلَطَمِ الْمَنَاخِرِ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ الْعِيِّ لَمْ أَهْجُ مِثْلَكُمْ وَلَا فَهَتْ فَيْكُمْ بِالْقَوَافِي الْفَوَاغِرِ
وَمَا لِجَلَالِكُمْ أَهْجُو وَلَكِنْ رَأَيْتِ الْكَلْبَ يُرْمَى بِالْحَجَارَةِ
فَلَوْ وَزَنْتُ مِنْكَ الْأُلُوفَ وَأَلْفَهَا بِنَعْلٍ لَهُ فَاقْتَنَكَ مَجْدًا نَعَالَهُ
إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، بَلْ خَلِيلُ اللَّهِ .

أَقْسَمَ اللَّهُ بِحَيَاتِهِ ، وَبَلَدِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَعَلَى عَظِيمِ خُلُقِهِ ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ ، وَقَرْنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ ، وَرِضَاهُ بِرِضَاهُ ، وَطَاعَتَهُ
بِطَاعَتِهِ ، وَحُبَّهُ بِاتِّبَاعِهِ .

خَيْرٌ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، شَهِدَ بِهَا الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ وَالْحِسَّ ، وَالْيَوْمَ وَالْأَمْسَ ، وَالْإِشَارَةَ وَالْهَمْسَ .
فَدَتُهُ نَفْسِي وَتَفَدِيهِ أَعَادِيهِ ، بَلْ كُلُّ مَا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ يَفْدِيهِ .
هُوَ الرَّأْسُ الْمَقْدُ وَالسَّنَامُ

أَضَاءُ الصَّبْحِ فِي يَمَنِ وَشَامٌ لِّذِي عَيْنَيْنِ وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا مَا اسْتَقْبَلَتْ أَوْدِيَةٌ غِيثَ السَّمَاءِ .

عَرَارٌ يَقُولُ وَيَحْدُو :

مَهْلًا حَبِيبَ الْقَلْبِ لَا تَتَرَدَّى ، وَاثْنِ الْأَعِنَّةَ صَوْبَ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ
حُطَّ الرَّحَالُ وَكُنْ مَقِيمًا آمِنًا تَحْظَى بِكُلِّ الْخَيْرِ مِنْ رَبِّ عَلِيٍّ .
الْعَرَارُ الْمَشْتَارُ ، فِي حَسَنِ تَصَرُّفِ الْمُخْتَارِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

إِذَا شَمَهُ فِي الْغَرْبِ مَنْ فِي الْمَشَارِقِ

تَمَائِلُ نَشَوَانًا بِهِ طُولُ دَهْرِهِ

وَيَهْنِيهِ مَا يَلْقَا هُنَاكَ وَمَا لَقِيَ

وَتَصَرَّفُهُ مَا تَصَرَّفُهُ .

رَوْضُ مِعْطَارٍ ، غَبَّ الْأَمْطَارُ ، عَاطِرُ رِيَا ، رَائِعُ الْمُحْيَا ، يُرْوِي الظَّمَا ، يَشْفِي الظَّنَّا .

أَشْتَاقُهُ شَوْقَ الْعَلِيلِ إِلَى الشِّفَا، يَالَ الْعُلَى إِذْ أَنَّهُ فِي الْمَصْطَفَى
صَلَى عَلَيْهِ رَبَّنَا وَسَلَّمَا مَا اسْتَقْبَلَتْ أَوْدِيَةٌ غِيثَ السَّمَاءِ.
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ تَصَرُّفًا.
بَصِيرَ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يَخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وَذُو يَقْظَاتٍ مُسْتَمِرٌّ مَرِيرَهَا إِذَا الدَّهْرُ لَاقَاهَا اضْمَحَلَتْ نَوَائِبُهُ
أَرْجَحَ النَّاسَ عَقْلًا، وَأَفْضَلَهُمْ رَأْيًا، وَأَعْظَمَهُمْ ذِكَاةً، مَا عَقُولُ الْأَذْكِيَا فِي جَنْبِ عَقْلِهِ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمَلٍ بَيْنَ رَمَالِ
الدُّنْيَا، وَحَسْبُهُ قَوْلُ الْمُؤَلَّى: **{وَعَلِمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}**.
مَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ فَحَارَ فِيهَا الْعَقْلُ إِلَّا كَانَ لَهَا.
حَبَّاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ رَأْيًا مُسَدَّدًا، فَكَانَ لَهُمْ فِي الْعَيْنِ كُحْلًا وَمِرْوَدًا
تَصَرُّفَاتِهِ حَتَّى قَبْلَ الْبَعْثَةِ ثَابِتَةً مُحْكَمَةً، مُسَدَّدَةً مُلْهِمًا، مُحَرَّرَةً مُسَلِّمَةً.
عَنِ الْبَحْرِ حَدَّثَ مَا تَحَدَّثَتْ آمَنًا، فَإِنَّكَ مَا تُسَهِّبُ فَأَنْتَ مُؤَيَّدٌ.
دَهَمَ السَّيْلُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ الْبَيْتَ فَهَدَمَهُ، وَقَامَتْ قَرِيشٌ لَتَبْنِيهِ، وَلَمَّا بَلَغَتْ مَوْضِعَ الْحَجَرِ اخْتَلَفَتْ فَيَمَنْ يَكُونُ لَهُ
شَرَفٌ وَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ، كُلٌّ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثَرَ بِهِ، الْخُلْفُ يَشْتَدُّ وَيَتَلَطَّى وَالْحَيْرَةُ تَتَشَطَّى، وَالنَّاسُ يَكَادُ يَأْكُلُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
وَزَلَّ الْخُلْفُ يَرْمِيهِمْ كَذَا بَطْنًا إِلَى ظَهَرٍ، كَمَا قَدْ تَفَعَّلَ الرِّيحُ بِكُتُبِ الرَّمْلِ فِي الْبَرِّ.
صَارُوا فِي أَضْيَاقٍ مِنْ بَيَاضِ الْمَيِّمِ، وَصَدَرَ اللَّئِيمُ، حَتَّى أَشَارَ مَشِيرَهُمْ بِأَنْ أَوَّلَ دَاخِلٍ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ هُوَ الْمُحْكَمُ
فِيهِمْ.
تَسَمَّرَتْ الْأَعْيُنُ فِي الْبَابِ وَإِذَا الدَّاخِلُ الْأَوَّلُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ هُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَضَجُّوا مُجْمَعِينَ: **{رَضِينَا بِالْأَمِينِ}**. رَضِينَا.
كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا.
فَالنَّاسُ فِي مَكَّةَ أَجْمَعُونَ يَرُونَ فِيهِ الصَّادِقَ الْمَأْمُونِ
وَحُكْمَ الْأَمِينِ فِي ذِي الْمُعْظَلَةِ فَجَاءَ بِالْحُكْمِ الَّذِي مَا أَعْدَلَهُ
بَسْطَ رَدَائِهِ، ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ بِرَجُلٍ فَأَخَذُوا بِنَوَاحِي الثُّوبِ وَرَفَعُوهُ حَتَّى حَادَّوْا بِهِ
مَوْضِعَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِأَطْهَرِ وَأَشْرَفِ يَدٍ تَحْمِلُهُ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ.
فَقَضَى عَلَى مُشْكَلَةٍ حَارَ فِيهَا ذُؤُوءُ الْأَحْلَامِ وَالنُّهْيُ وَكَادُوا يُحْكَمُونَ فِيهَا حَدَّ الظُّبَا، فَكَانَ لَهَا الْأَلْمَعِيُّ الذَّكِيُّ
الْوَفِيُّ الْأَبْيُّ الْعَلِيُّ الشَّيْمُ.

صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.
تصرفه نبع نميرٌ مُحَبَّبٌ تلذ به الآذان والقلب يُسحرُ
قام بحل حاسمٍ سريع لمشكلة المهاجرين باعتماد أسلوب المؤاخات بينهم وبين إخوانهم الأنصار قائلاً ما
مضمونه للطرفين: {تآخوا في الله أخوين أخوين}. فهب الأنصار ليخففوا عن إخوانهم ألم الغربة والحرمان،
فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بعد أن اقترع فيه بالسُّهمان.
وفي كرم لا نظير له في تاريخ البشرية أحل الأنصار إخوانهم منازلهم، وقاسموهم أموالهم وثمار بساتينهم، لا
ليوم ولا أسبوع ولا شهر، بل لسنوات يُؤثرونهم على أنفسهم، ويتوارثون فيما بينهم دون ذوي رحمهم.
في لُحمةٍ ما مرَّ مثل أريجها يوماً على رَوْض ولا صحراءٍ
وما العيش إلا ذاك لا عيشُ عَزَّةٍ وليلى ولا سلمى ولا أمَّ سالمٍ
بذا سدَّ حاجة المهاجرين، وترجم لُحمة الدين في أنقى صورها في العالمين إلى يوم الدين. ثم نُسخ التوارث
وبقيت أخوة الدين.
تصرفُ شهِيٍّ لا يُملُّ كأنه الرَوْض زَهَتْ أزهاره وكلَّل الأوراق منه الطلَّ
صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودى غيث السما.
رفع الله به بيت المعالي بحُلُومِ راسيات كالجبال
قام صلى الله عليه وسلم بحل مشكلة التعايش بين الطوائف المختلفة في المدينة، فقضى على ما بين الأوس
والخزرج من خصام ومنازعة، وأبطل النعرات الجاهلية والدسائس اليهودية بمعاهدة المودعة، ولما حاول
المنافقون تفكيك عُرى تلك اللُحمة الكريمة، كان لتلك المحاولة الأثيمة بسياسته الحكيمة.
واحد ليس له في الناس ثاني.
عجب منه ومن أخلاقه لو تتبعت أعاجيب الزمان
على ماء المُرَيْسيع وقع شجار بين أجير لعمر وحليف للأنصار، فصرخ الحليف: يال الأنصار، وصرخ الأجير:
يال المهاجرين.
فقام ابن أبي بإعلامه الرديئى ينكأ الجرح، ويدُرُّ عليه الملح بلفظ في غاية القبح: {أو قد فعلوها ونافرونا في
بلادنا، لنن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل}.
حروفه كالحدث يرفث كل الرفث، يودُّ من يسمعه لو أنه في جدث
تحارُّ إذا نظرت إليه كرهاً إنسان أمامك أم كُناسة
وإن صافحته يوماً لسهوٍ تطهر من ملامسة النجاسة

نُقل الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمر رضي الله عنه ، فأعلنها غيراً لله : {يا رسول الله، هذا منافق دعني أضرب عنقه}. فأبى أشد الإباء حرصاً منه على سمعة الدعوة خارج المدينة ، فابن أبي معدود عند العرب من أصحابه ، ولذا أعلننا خالدة : {لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه}.

لفظ عظيم ما أرى شرحه يوجد في العين ولا في الصحاح
ثم عالج قالة ابن أبي بحكمة بالغة ، إذ أمر بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه ، ثم واصل المسير بصحبه
يومه وليلته وصدر اليوم الذي يليه ، حتى إذا اشتد الضحى وآذتهم الشمس أخذ منهم التعب والسهر مأخذه ،
نزل بهم منزلاً فلما وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً .

تداعت له الحكم البالغات يُقرّ به البرّ والفاجر
أطفأ لهب الفتنة بسيره الذي أشغل فيه كل واحد بنفسه ، حتى صار النوم غاية همّه .
وبذا ردّ الله كيّد ابن أبي في نحره ، وأخلف ظنّه ، وقلب عليه مجنّه ، وسورة المنافقين أنزلت في شأنه فأوضحت
وفصلت ، وأصبح مهنّا في قومه ، فما ثغا بعدها إلا عتفه من حوله .

وهكذا لم يزل يمحو بحكمته ضلال كل ذوي أمتٍ وذوي أودٍ
صلى عليه ربنا وسلمنا ما استقبلت أودية غيث السما
يحلّ العويص من المشكلات ومنهجه المنهج الأقوم
في أحد اختار موقعا يسمح له بالسيطرة على أرض المعركة ، مع تأمين ظهور جنده ، فجعل أحداً خلف ظهره ،
وجعل على الجبل المقابل خمسين من خيرة رُماته ، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم أنى كانت نتيجة المعركة .
ووضع المسلمون السيوف في أعداء الله بأمر الله حتى حلت بهم الهزيمة .
لما رأى الرّمات منهم الهزيمة ، قالوا : {لماذا نترك الغنيمة؟} .

وخالفوا الأمر على سلطانهم فمكنوا العدو من إخوانهم .

فأولاً للانتصار حازوا ، وبشاهدة أخيراً فازوا

ونيل فيه من رسول الله ما يكفيك أسوة أيا من فهما

وكلُّ ذا بإذن الله لا غافلاً عنهم ولا بساهي

ولو يشا عز وجل لا انتصر ، منهم ولم ينل ذوي الإيمان شرّ

لكنه أراد أن يمتحن ، ليُعَلِّم المرتاب ممن آمن

ثم تكون بعد ذاك الدائرة ، على الكفور اليوم أو في الآخرة

وفي بُعد نظر لا نظير له، يأمر بعد يوم واحد بأن يخرج في إثرهم من شهد معه المعركة، مُرهبًا بهذا أهل مكة، وأعداءه المحيطين في المدينة، ومؤكداً لهم أن إصابة أحدٍ لم تكن ضعفاً، بل كانت نتيجة خطأٍ حربي ارتكبه بعض جنده.

فسار بعدهم لحمرء الأسد جماعة يقودهم محمدٌ ليأخذوا بالثأر أو يُستشهدوا.

ونزل القرآن فيهم يُتلى ومثلهم لا يرهبون القتلَ فألقى العرب في قلوب المشركين، فولَّوْهُ هارِبِينَ بنصر مُتَوَهِّمٍ، يقول قائلهم وهو يوبخهم: **{ لا محمداً قتلتم، ولا العواتق أردفتن لبئس ما صنعتن }**.

وانقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بنعمة من الله وفضل.

وعاد برق الشرك برقاً خُلْباً من بعد ما أومظ حيناً وخبا صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما كان صلى الله عليه وسلم أحسن الخلق تصرفاً. وشهُودي من سَجَايَاهُ

ولا تثبت الحُجَّةُ إلا بالشهود وهي لا تخفى على غير البليد هذا صلح الحديبية، شاهد عدلٌ على أنه أوتي من بُعد النَّظَر ما لم يُؤْتِه أحد غيره، نظر الصحابة له نظرة مؤقَّتة فكانت شروطه في الظاهر مُجْحَفة، أدخلت عليهم من الهمِّ ما أذهل الألباب، وأظهر أكابرهم منها الإمتعاض، كأسيْد وسعد وسهل وعمر ابن الخطاب، ورسول الله ينظر نظرة بعيدة فيراه مصلحة عظيمة. والصَّواب فعله، فالعبرة بما تؤول الأمور له.

فبالصلح ذهب من قريش الهيبة، ودخلت خُزاعة في حِلْفه وعهده، واعترفت قريش بالمسلمين وجلست معهم جلوس الدَّ للند، وتفرغ المسلمون لليهود العدو الألد، وبالأمن كانت الفرصة مواتية لنشر دين الله، فما كَلَّم أحدٌ بالإسلام وهو يعقل إلا دخله، وبه فُتحت قلوب أهل مكة قبل أن تُفتح أبواب مكة، وكُسِر به الطَّوق الذي ضربته قريش بتحالفها مع يهود خيبر عليه، وخسرت به سمعتها عند العرب لأنها تصد عن بيت الله من جاء مُعظماً له، وتبيَّن لقريش أنها تحفر قبرها بيدها وتكتب دمارها بقلمها.

واعترف الصحابة بِقَصْرِ نظرهم، وتواصوا بعدها بأن يتَّهموا رأيهم. إنه فتحٌ قال القائلون عنه: **{ ما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه }**.

وسورة الفتح به شاهدة، وناطقة بحكمة من عقده

وحكمته حكمته.

فَدَرُّ المعاني بها تُنْظَمُ، ويحلُّو بها الصَّابُ والعَلْمُ
ومنها يُسَرُّ الولي الحميمُ ومنها أنوف العدا تُرْغَمُ
صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الخلق تصرفا

أنقذ العالم من هُلك الضلال

قَوِّم الدين وأعلى مجده.

ثَقَّف السُّودَّ تثقيف العوالي

في المرحلة السَّريَّة من دعوته، اختار دار الأرقم لتكون أعظم جامعة سرية لإعداد الدعاة وعمالقة القادة،

ليقوموا بحمل راية تحرير البشرية من رِقِّ العبودية لغير رب البرية.

والمصدر الوحيد الذي يتلقاه تلاميذ تلك الجامعة الأبيَّة هي الآيات القرآنية.

فكانوا صورة حية عملية لتوجيهاتها الربَّانية، جسَّدوا بها أعظم دعوة عرفتتها البشرية.

هُم الجبال وأما غيرهم فَرُبَّى.

ما غاب بدرٌ دجَّى منهم ولا غَرَبَ، إلا وأشرق بدرٌ كان مُحْتَجِبًا

ولعل من حكمته في اختيار دار الأرقم كما تأمل بعضهم ورقم: أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان

يخطرُ ببال أحد أن يتم اللقاء في داره، ولأن الأرقم من بني مخزوم، وهم حملة لواء التنافس والحرب ضد بني

هاشم، فلن يخطرُ بالبال أن يتم اللقاء في قلب صفوف الأعداء، ولأن الأرقم فتَّى في السادسة عشرة أو دونها،

فلن يخطر ببال قريش أن تبحث في بيوت الفتنية، بل تتَّجه لبيوت أكابر أصحابه.

هكذا كان يأخذ بالأسباب متوكلا على ربه، ليكون أسوة لمن بعده، **{لقد كان لكم في رسول الله أسوة}**.

صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الخلق تصرفا.

أعدَّ لهجرته خطة يحار لدقتها خاطر، فأحبط ما دَبَّر الماكِرُ.

من تتبع مراحل هجرته رأى من التخطيط البالغ في الدقة ما يبهره.

اتخذ ما يمكنه من أسباب لتضليل عدوه وإبعادهم عن طريقه.

تَقَنَّعَ وذهب إلى بيت أبي بكر بالهجرة ولم يُعهد عنه أنه يأتيه في مثل تلك الساعة، ثم طلب من أبي بكر أن

يُخرج من كان عنده، ثم أخبره أن الله أذن له بالهجرة، وحصر المعرفة بهجرته في علي وأبي بكر وأهله حتى

لا يذبح خبره، ثم خرج من خَوْخَةٍ في ظهر بيت أبي بكر للتَّمْوِيهِ على قومه، وأمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، واستأجر دليلاً خَرِيَّتًا مُشْرِكًا مأموناً، ودفع له الرُّوَّاحل يرعاها وواعده بعد ثلاث.

سلمها إلى الدليل الدَّيْل، وهو الذي أسر بهم في الليل وللتَّعْمِيَةِ اتجه جنوباً لا شمالاً.

واختبأ الصديق والنبي في غار ثور وغدا التَّيْمِيَّ

يقول: كاد القوم أن يرونا لو طأطأوا الرؤوس والعيون

والمصطفى يقول: نحن اثنان ثالثنا مَنْزَلُ القرآن

ويُستَنَفَرُ بيت أبي بكر كُلُّهُ، عبد الله يستمع لما يقول الناس ثم يأتيهم في المساء بما يكون في يومه، وأسماء

تأتيهم بالطعام كل ليلة، وعامر الراعي يرعى الغنم في نهاره ثم يُرِيحُ إذا أمسى عليهم فيسقيهم ويمحو أثر

أسماء وعبد الله، ثم يعود ويسرح مع الناس ولا يعلمون أين مبيته.

وانطلقوا بعد ثلاثٍ معهم مولى أبي بكر لكي ينفعهم.

وسلكوا طريقاً غير معهود، وهو طريق الساحل.

وإذا سئل أبو بكر عن الرسول قال: {هذا الرجل يهديني السبيل}.

ويمضيان معهما الدليل، وامتألت بالرَّصْدِ السبيلُ

حتى إذا أدركهم سراقَة أتاه ما ليس به من طاقة

وقدما قباء لاثني عشر من ذلك الشهر كما قد أثرا

وكانت الأنصار في انتظارهم يهيئون نُزُلًا في دارهم

وفي بني عمرو ابن عوف بقباً حطَّ النبي رحله يا مرحبا

هكذا معشر الإخوة علَّمنا رسول الله حقيقة التوكل على الله، فالتوكل حاله، والأخذ بالسبب سنته، ولا تمكين

إلا بالافتداء به، {لقد كان لكم في رسول الله أسوة}.

صلى عليه ربنا وسلمنا ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحكم الخلق تصرفاً.

كان للأمة عينا ويدا والحُسامُ العضْب والركن الأشدُّ

فعلت آراؤه ما لو جرى معها العضْبُ اليماني لأكدى

لم يستطع عدوُّه أن يُبَاغَتْه مرة، واستطاع أن يُبَاغَةَ عدوه في جُلِّ غزواته بما لم يعُهد.

أبو الحزم يقظان البصيرة لم تنم له أعينُ والسَّادر الغمرُ نائمٌ

في المدينة يهود ومنافقون كما تعلمون، وأعراب عيون لأهل مكة، وأنباطُ عيون للروم مندسة.

ولكي تنقل العيون معلومات خاطئةً إلى أوليائها، قلما أراد غزوة إلا ورى بغيرها.

فصير رأيه في البيد جيشا، ومن حزم الأمور له ربّايَا

بعث ابن جحش رضي الله عنه على سرية، وأعطاه كتابا أمره أن لا يفتحه إلا بعد يومين من مسيره ثم يمضي

لما أمره به، فما عرف أحد من أهل المدينة جهةً وواجب تلك السرية.

وبعد يومين فتح الكتاب فإذا فيه أمر بالتوجه إلا نخلة، واستطلاع أخبار عدوه، فسمع ابن جحش وأطاع،

ونفذ المهمة في اتباع وأشاع.

طاعته فرض علينا واجبٌ، ويل لمن عن أمره السامي عتّى

وأخفى نواياه في غزوة الفتح عن أقرب الناس له كأبي بكر وأهله.

قصدَ وورى وأخفى وعمى، واستطاع أن يحرك جيشا عدده عشرة آلاف، دون أن يعرف عدوه حركته حتى صار

قريبا من مكة، ثم هاجمهم من محاور أربعة فأربكهم واضطربهم إلى توزيع قواتهم وغياب التنسيق فيما بينهم

فأسقط في أيديهم واستسلموا بأجمعهم.

ما سار مسيرا إلا تقدمه من يستطلع طريقه، وما نزل منزلا إلا استطلعه قبل أن ينزل فيه، وأقام الحراسة.

بسيفٍ مُبِيدٍ ورأيٍ سديدٍ وعزمٍ شديدٍ وأنفٍ أشمّ

لما غزا بني لحيان تحرك باتجاه الشام، فلما انتشر خبر تحركه جهة الشام، عاد بقواته فجأةً إلى بني لحيان

فباغتهم في المكان وكان ما كان.

وفي غزاة خيبر تحرك إلى الرجيع قريبا من غطفان، ثم أرسل قوةً صغيرةً إلى معسكر غطفان، وعاد بقواته إلى

خيبر في هدوء واطمئنان، فأوهم غطفان أنه يريدهم، وأوهم أهل خيبر أنه لا يريدهم، وحال دون تعاون

الطرفين على قتاله بخداعهم، ثم صار في ليلةٍ يَظُلُّ بها القطا حتى وصل خيبر وأكمل تطويقها، فما علمت

يهودٌ حتى أصبحت فساء صباحها.

وكانوا يُخدمون وهم قعود...فصاروا يُصفعون وهم قيامٌ

وباعةً الأحزاب بمكيدة الخندق التي لم تكن تخطر ببالهم.

وفي تدريب وكفاءة عالية باغة بني المصطلق وهم غارُون فاستاق نَعَمهم وشاءهم وغنم أموالهم وسبى ذراريهم

ونساءهم.

واحد ليس له في الخلق ثاني

دونه الناس جميعاً والرُّبَا أبداً تَنَحُّطُ عن شَمِّ الرِّعَانِ

ولم يزل في جهاده يتصرف بحكمة بالغة، ومهارة فائقة.

بفعل يقول لساري الليالي إلى جبل العزّ يا سارية

يهدد تجارة قريش الطاغية الباغية.

فغيرهم قد أقبلت من الشّام، ومعها المال الحلال والحرام

فخرج النبي في جماعة، يطلب تلك العيرَ والبضاعة

لكنه جاء الصّرخُ المُنذرُ، يقول: يا قريش هلاًّ تنفّرُ

فخرجوا بالقضّ والقضيض، في طول فخرهم وفي العريض

واجتمعوا في بدرَ للقتال، وهم زهاء ألف بخير حال

وجيشه كان قليلاً عدده، ثلث ألف ناقصات عدده

هنا تحول الهدف من صيد قافلة، إلى مواجهة حاسمة في معركة فاصلة.

وفي قلّة عددٍ وعدّة يتخذ كافة الإحتياطات التي تُملئها ظروف المعركة.

يتعرّف على إمكانات عدوه ونوع أسلحته، يستشير صحّبه فلا يقطع برأيٍ دونهم فالأمر شورى بينهم، ويعلن

قادة المهاجرين الإجماع على المواجهة بأبلغ مقالة، وقام سعد رضي الله عنه عن الأنصار فألهبَ المشاعر معلّناً

أن الأنصار معه حتى لو كان البحر مَخَاضَه، فسراً وأعلن البشارة: أن سيروا وأبشروا أيتها العصابة.

تناهت في الملاحّة والبلاغة، فلو شرب المسيحُ إليه سمّاً على ألفاظه سمّاً لَسَاغَه

ولم يزل يستطلع خبر عدوه ويتحسسه لحظة بلحظة، تارة بنفسه وأخرى ببعض صحبه.

فلا ينظر الأشياء إلا بلبّيه، ولا يسمع الأنباء إلا بعقله

رُوي أنه خرج هو وأبو بكر فلقي شَيْخاً من العرب، فسأله صلى الله عليه وسلم عن جيش مكة وعن جيش

محمد -صلى الله وسلم على نبيينا محمد-، فقال الشيخ: {من أنتما؟ قال: نخبرك إذا أخبرتنا}. فأخبرهم بما

لديه عن الجيشين ثم قال: {من أنتما؟}، فقال صلى الله عليه وسلم مُورِياً: {نحن من ماء}. ثم انصرفا فبقي

الشيخ حائراً من ماء السماء! من ماء كذا!.

فحيّره بما أخفى وأبداً كبحرٍ ما له جَزْرٌ ولكن، يكون له مدى الأيام مدّاً

ولما جيئ له بسقاة قريش سألهم عن مكان قريش، واستدلّ على عددهم بكم ينحرون من الإبل كل يوم، فلما

أخبر أنهم ينحرون عشرا، قال: {القوم ألف، كل جَزْوٍ لمائة}.

لو ذا عيٍ لم تدع حكّمته من أمور الحرب أمراً مُبهماً

ثم أمر بقطع الأجراس من أعناق الإبل حتى لا تحدث جلبة تُشعر به، ثم سبق إلى موطن المعركة ونزل أدنى ماءٍ من عدوه ليشرّب جُنْدَه ويحرّم عدوه، واستفاد من الظروف الطبيعية فاستقبل مغرب الشمس لتكون خلفه وفي وجه عدوه، وأذن في بناء عريش مُشرفٍ على المعركة يُتابع منه ويوجهه، ومعه في العريش قوةٌ احتياطية لحراسته أو ضرب كمين لم يتوقعه أو تعويض ما قد يحدث من خللٍ أثناء المعركة.

ولعلمه أن عدوه يعتمد أسلوب الكرّ والفرّ، باغته بما لم يعهده وهو القتال بنظام الصفوف الذي يُحبه ربه. جعل الصفوف الأمامية لأصحاب الرّماح لصد هجمات الفرسان، والصفوف الأخرى من أصحاب النّبال لرمي المهاجمين، وبعد أن يذهب زخم الهجوم وشِدّته، تتقدم الصفوف متعاقبة لتزحف على العدو فتَهْزِمُه وتطارده.

فَوَلَّى الْأُمُورَ لِأَرْبَابِهَا، وَأَهْدَى السِّيُوفَ لِأَجْفَانِهَا

وكانت التعليمات الأخيرة منه لجيشه بأن لا يَسْلُوا السيوف حتى يغشاهم العدو، وأن لا يرموهم حتى يدنوا منهم: {إِنْ دَنَى الْقَوْمُ مِنْكُمْ فَاَنْضَحُوهُمْ}، وأمر بأن لا يُكْثِرُوا من الرّمي استبقاءً للذخيرة: {وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ}، ثم دفعهم إلى السماء مزهّداً في الأرض: {قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}.

والتَّحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ وَانْجَلَى الْحَقُّ الْيَقِينُ

ورفع الرسول كفيّ الدعاء إلى المهيمن المجيب من دعا

فانهزم الجمع وولوا الدبر كما قضى الرحمن ذاك في الزُّبر

ونكصَ الشيطان للفرار، وقال ما أنا لكم بجارٍ

فانكشف الغبار عن سبعين، قد قُتِلُوا وأُسْرُوا سبعين

وقَذَفُوا بِبُئْرٍ بِدْرِ كُلِّهِمْ، ووقف النبي مُبَكِّتًا لَهُمْ

أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا حَقًّا، فهل وجدتم ما وَعَدتم حَقًّا

وَسَمِعُوا الْقَوْلَ لَوْ أَجَابُوا، لكان قول "نعم" الجواب

وقد مضت سنة ذي العرش بذا، وكل باغٍ فجزاؤه كذا

تحقّق وعد الله، وتنزّل النصر من عند الله، بأسباب مادية، وجهود بشرية، من قيادة موحدة، ومشورة ووحدة، وثقة متبادلة، مع عقيدة راسخة، ومعنويات يُدْكِيهَا رسول الله، وهدفٍ مُوحَّدٍ لإعلاء كلمة الله.

الغُليِّم منهم في أتون المعركة وهمّه أبو جهل! لم؟ {أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسِبُ رَسُولَ اللَّهِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَإِنْ رَأَيْتَهُ لَا يَفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا}.

تسير بها الركبان شرقاً ومغرباً، فمن منشِدٍ يشدو بها ويُغرّد

فيا أيتها الأمة ! رُعاة ورعية : {لقد كان لكم في رسول الله أسوة}.

صلى عليه ربنا وسلمنا ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الخلق تصرفا.

لو لم يقد جحفا يوم الوغى لغدى من نفسه وحدها في جَحْفَلٍ لَجِبٍ

اصْطَفَ المشركون في عُمره القضاء عند دار الندوة، وقائلهم يقول في حرب إعلامية: {يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وَصَحْبُهُ قَدْ وَهَنْتَهُمْ حُمَى يَبْثُرِي}.

وقدم النبي عليهم مُحْرَمًا، ملبيا لربه معظمًا

والمسلمون نحو ألفين مَعَهُ، مثل الأسود في غمار المَعْمَةِ

والخيل كانت مائة مُسَوِّمة، يقودها محمد بن مَسْلَمَة

والمصطفى في هِمَّةٍ، يأمرهم بالقُوَّة

وحاله يا جِلَّةَ، مع العَنى والشُّقَّة

داوُوْهُمْ بِالْحُمَّةِ، قبل نزول الحِمَّةِ

فأقبلوا كأن ليس بهم عَنَى، وضيقوا على العدا رَحْبَ الفضا

وفي الطواف رَمَلُوا أَشْوَاطًا، واضْطَبَعُوا وأظهروا النشاطَ

وَهَرَوَلُوا بين الصِّفا والمِرْوَةِ، وأدهشت قريشَ تلك القوَّة

وظهر الدَّلَ عليها وبدا لم تغتمض بِسِنَّةٍ ولا كَرَى

هكذا كان رسول الله!

يكيد عدوه، ويسعى في غيظه.

ففي أحد أذن لأبي دجاجة رضي الله عنه أن يمشي متبخترا لابسا عصابته الحمراء.

وفي الحديبية ساق في الهدي جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر ليزيد غيظ الأعداء، ويذكرهم مصارع القتلى

وَدُلَّ الأسرى، وهنا يأمر أصحابه بالرَّمَلِ والتلبية في عُمره القضا، ليردَّ الدَّعاية المغرصة على الأعداء، وقد نجح

في ذا فقال قائلهم: {هاؤلاء الذين زعمتم أن قد وهنتهم الحمى؟ لهم أجلد من كذا وكذا}.

وبقي مع صحبه بأحب البلاد إليه، يرفعون راية التوحيد، يؤدِّنون ويصلون ويطوفون بالبيت العتيق.

كالغيث فيه للطُّغاة زَلْزَلٌ، ولن يؤمِّله الزُّلْالُ الباردُ

وقَطَّنُوا ثلاثةَ أَيَّامًا، قد شرطوها وانتهت تمامًا

وخرجوا منها ولم يَخْيِسُوا، بعهدهم والمصطفى عريسُ

بِبرّةٍ وسمّيت ميمونة ، وهي التي بسرفٍ مدفونة
 إنه أحمدٌ مَنْ في خُلُقهِ ، نزل القرآن والسبع المثاني
 صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.
 وهو يخرج من مكة تبعته كما في الصحيح ، ابنة أخيه وعمه حمزة رضي الله عنه ، تناديه : **{يا عمّ، يا عمّ}**.
 كأنها في فلاةٍ لا أنيس بها والأرض صارت جميعاً رُبْعها الخالي.
 فتناولها علي وأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : **{دونك ابنة عمك}** ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر طمعا في أجر
 الصلّة والكفالة وقياماً بحق سيد الشهداء رضي الله عنه فيمن وراءه ، كلُّ منهم يُدلي بمُسوّغٍ يسوّغ له أحقيّته
 بالكفالة ، ولا غرابة ، فذي أخلاق الصحابة.
 يَضُوعُ شَمِيمُها في كل نادٍ ، كما نشدت صبا نجدٍ عرارا
 قال علي : **{أنا أخذتها وهي ابنة عمي}** ، قال جعفر : **{ابنة عمي وخالتها تحتي}** ، وقال زيد الذي آخا النبي
 بينه وبين حمزة : **{إنها ابنة أخي}** . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحتها ولم يقض لأحد منهم بها ،
 وقضى بها لخالتها ثم علل قائلا : **{الخالة بمنزلة الأم}**.
 فلو أن أحرفها جُسّمت ، لكانت عُقودَ نحور الغواني
 وعهد الصبا ونسيم الصبا وظلّ الأمان ونيل الأمان
 وتطيبها لقلوب ثلاثة الأصحاب ! قال لكل ما يأخذ بالألباب بألفاظ مهدّبة عذاب ، قال لعلي : **{أنت مني وأنا**
منك} ، ولجفر : **{أشبهت خلقي وخلقي}** ، ولزيد : **{أنت أخونا ومولانا}** . وحال كل أحد لو أقسم ورب البيت
 والسبع الطباقي :
 لتلك إلى الفؤاد أشدّ حبّا من الصّادي إلى الكأس الدهاق
 فله ما أعدله حاكما ، وما أعظمه مربيا.
 صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.
 كان صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق فِراسة.
 يُريك بالظنّ ما قلّ اليقينُ به ، والشاهدان عليه العينُ والأثر
 كأنّه وزمّامُ الحق في يده يرى عواقبَ ما يأتي وما يذرُ
 عرف مزيّة كل فرد من صحّبه معرفة دقيقة مفصّلة ، فأسند لكلّ منهم ما يتفق مع كفاءته ، وأطلق عليه من
 الألقاب ما يناسبه.
{فحمزة أسد الله} ، {وخالد سيف الله} ، {ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة} .

يختار للدعوة والتربية والتعليم من يجمع بين غزارة العلم ودمائة الخلق والمهارة في اجتذاب قلوب الخلق. لما طلب الأنصار يوم العقبة منه أن يبعث معهم من يعلمهم أمور دينهم ويدعوا من خلفهم، اختار لهذه المهمة مصعباً رضي الله عنه وعنهم، فكانت أولى ثمرات دعوته إسلام زعيمين من زعماء المدينة، سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي بإسلامه ما أمسى أحد في قومه رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة، واهتز عرش الرحمن لموته، وأسيّد بن حُضير رضي الله عنه الذي تنزلت الملائكة على قراءته.

أقام مناراً هادياً كل حائر، وأوقد ناراً أممها كل قابسٍ ويختار للوفادة على الملوك من يجمع وفور العقل وحسن المظهر وطلاقة اللسان وسرعة البديهة، وقوة الحجّة. كدحية وحاطب وعمرو، وابن حذافة العظيم القدر بعث دحية الذي كان جبريل يأتي في صورته إلى ملك الروم، وابن حذافة إلى ملك الفرس، وحاطباً إلى الموقّس ملك مصر.

ولتعرف دقة اختياره لمبعوثيه، اسمع للموقّس يسأل حاطباً رضي الله عنه عن رسول الله: {لمن الغلبة في حربه مع قومه. قال حاطب: الحرب سجال، تارة له وتارة عليه. فقال الموقّس: النبي يُغلب؟! قال حاطب: والإله يُصلب؟!}.

تبيّن الرشد من الغي بها، وبان فعل السيف من فعل العصا ويختار للقيادة من يجمع سداد الرأي وحسن التصرف والشجاعة، كحمزة وسعدٍ وخالد وزيدٍ وأسامة، وجعفر وابن رواحة.

ويختار للأعمال الفدائية النادرة من يجمع بين الشجاعة الفائقة وقوة القلب والمقدرة على التحكم في مشاعره، كابن أنيس رضي الله عنه الذي دعاه يوماً وقال له ما معناه: {بلغني أن خالد بن سفيان يجمع لي ليغزوني وهو بعُرنة، فأتته فاقتله}، فخرج حتى وقع عليه بعُرنة ومعه طعنه، فأقبل عليه متظاهراً أنه معه في جمعه، ثم ماشاه حتى إذا تمكن منه حمل عليه بالسيف فقتله، ومضى تاركاً طعنه مكباتٍ عليه. فقطع مادة الفتنة في مهدها بصاحبه ابن أنيس رضي الله عنه، وسلم من خوض حرب معه قد تكلفه لو تركه حتى يكثر جمعه.

وولى ابن مسلمة مهمة قتل ابن الأشرف الذي آذى الله ورسوله، فما زال به حتى قتله في قصّة شهيرة. وولى أسامة حبه وابن حبه وهو في السابعة عشرة الإمارة، وفي الجيش الشيخان وكبار الصحابة وقال ما معناه: {إنه لخلق بالإمارة}.

وأبو ذر رضي الله عنه من السابقين الأولين من الصحابة: {ما أقلت الغبرا وما أظلت الخصرا أصدق لهجة من أبي ذر} ومع ذا لما طلب منه أن يستعمله ضرب بيده على منكبه وقال: {يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها. يا أبا ذر! إني أحبُّ لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين}، وأبو ذر هو أبو ذر! الذي أسلمت قبيلته على يديه، وصدع بإسلامه من أول وهلة بمكة في شجاعة فذة، ولعل العلة كما قال الأئمة أن فيه حدة، والإمرة تحتاج لحزم ومداراة لا حدة.

فكل شخص له مجاله الذي سخره الله فيه، وميدانه الذي يقوم بواجبه فيه، {لقد كان لكم في رسول الله أسوة} دعة ومربيين وأئمة.

صلى عليه ربنا وسلمنا ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الخلق تصرفا.

له الله من راتقٍ في الورى، أمورا كبارا ومن فاتقٍ

فبارق عارضه وامض، وعارض حكمته ممطر

إنه نبي مرسل، وقائد بارع، يعرف مدعويه حق المعرفة، ويتعامل مع كل منهم على ما يعلمه منه، يعطي من يرى أن المال والجاه والأعطيات تثبته، ويكل أقواما إلى ما في قلوبهم من الإيمان بالله ومحبته، قرر ذلك كما في الصحيح بقوله: {إني أعطي أقواما أخاف هلعهم وجرعهم، وأكل أقوما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب}. قال عمرو: {فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حمير النعم}.

إن شرفت فالقلب مسكنها، والقلب مسكنها إذا ما غربت

لقد استمال بالمال قلوب المؤلفات قلوبهم لأن المادة لم تزل طاغية على تفكيرهم ولم يستشعروا بعد حلاوة الإيمان في قلوبهم، حتى قال أحدهم: {ما زال رسول الله يعطيني وهو أبغض الخلق إلي، حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه}.

ولذلك وزع غنائم حنين في مسلمة الفتح الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ليثبتتهم، وفي المؤلفات لاستجلاب قلوب أتباع يرضون إذا رضي رئيسهم. أما الأنصار وكبار المهاجرين الذين أبلوا ونصروا وآووا وبايعوا ووفوا فلم يعطوا من الغنائم شيئا ووجدوا في أنفسهم إن لم يُصِبْهم ما أصاب غيرهم، وقال بعضهم: {يغفر الله لرسوله! يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم!}. فبادر سعد بن عبادة رضي الله عنه بنقل ما جرى لرسول

الله صلى الله عليه وسلم مهنلا قالة قومه، فأمره بجمعهم دون غيرهم، ثم وقف فيهم موجهًا ومكاشفًا ومعالجًا، مذكرا لهم بنعمة الله عليهم به: {ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟!}، واضعا نفسه مكانهم متكلما

بلسان حالهم: {أما والله لو شئتم لقلتم صدقتم وصدقتم: أتيتنا مُكذِّبًا فصدقناك!}، ثم حرك كوامن نفوسهم معترفًا بفضلهم وعلو شأنهم مبينًا أنه ما حرمهم إلا اعتقاد منه بعلو كعبهم في الإيمان قائلًا لهم: {أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالshade والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم، والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، الله ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار}. تناقلها الأنصار عنه فأصبحت

تُجاب به أرض وتطوى سباسب.

فضاربة في الأرض وهي مُقيمة، كأن مطاياها الجنوب أو صبا نقلهم بها من حيزة shade وبعير لحيازة البشير النذير، وزودهم الدعاء الأثير، فانهالت الدموع فرحًا، ولهجت الألسن: {رضينا برسول الله قسما وحظا}، وحال كل واحد منهم:

والله ما أنت وأهل العلى، إذا تأملتهم وانتقيت

إلا كبيت الله في فضله على بيوت الناس والكُل بيت

ذهب الناس بالshade والبعير، وبقي في معيتهم السراج المنير.

ترك أحب بلاد الله إليه، واختار من بايعه وآواه وناصره.

ترك من أعطاهم مآت الإبل وآلاف الشياه إلى نعيمهم ومضى مع الأوفياء الخُص كما وعدهم: {المحيا محياهم والممات مماتهم}.

مضى معهم راجيا أن يبقوا فئة نقيّة يحدها شيء غير اهتمام الذهب والفضة، وهو موعود بيعة العقبة {فما لنا إن وفينا يا رسول الله؟ قال: لكم الجنة. قالوا: ربح البيع! لا نُقبل ولا نَسْتقبل}.

مضى في معيتهم مُعلنًا لهم أن هذه لن تكون الأولى التي يُعطى فيها الناس ويُحرمون ولن تكون الآخرة: {أما إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض في الآخرة}.

فالناس يُوعدون بالحطام، وهم بحوض سيد الأنام

ذهبت الشات والبعير، وبقي للأنصار البشير النذير.

فالناس يرجعون بالحطام، وهم بحوض سيد الأنام

حداؤهم في ذا السفر:

خذوا الجمال والشياه والبقر، فقد أخذنا عنكم خير البشر

قطعنا العلائق عن غيره، كما قطع المشرق الأديم

أرأيتم معشر الإخوة:

عطاءً في محله جَلَبَ القلوبَ نَحْوَهُ، ومنَعُ في مَحَلِّه كان فخرًا لأهله بعد وُضُوح سببه.
مالٌ من سبيل الله، صُرِفَ في سبيل الله، دخل به أناسٌ في دين الله، وثبتت به قلوبٌ على محبة الله، وخير
الهدى هدى رسول الله.

صلى عليه ربنا وسلمنا ما استقبلت أودية غيث السما.
كان صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق وأحسنهم تصرفاً.
حكمة قد شهد الخصم لها، أخذ الغارب منها والسَّنام
كلَّما عَوَجَّتْ أُمُورُ والتوت، قَوْمُ الْمُعَوِّجِ منها فاستقام
كان عليه الصلاة والسلام يحتوي الكفاءات المتميزة، ثم يُوَضِّفُها لخدمة دينه ودولته وأُمَّته.

ظهر ذلك في اجتذاب زعيم كبير ساد قبائل قومه وهو في الثلاثين من عُمره، إنه مالك بن عوف، قائد المشركين
في حُنين، الذي انهزم مع قومه وخسروا كل شيء حتى نساءهم وأبناءهم، وهو السبب فيما جرى لهم، وجد
نفسه بلا مال ولا ثروة، ولا قبيلة ولا عُرْوَة. فهو لاجئٌ عند ثقيف ولا يأمنها على نفسه، ماله وأهله لم تُقسَم
في الغنائم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين قَدِمَ وفد هوازن قال: {ما فعل مالك؟ قالوا: هو في الطائف
مع ثقيف}. ففي تدبير مُحكمٍ لإسلامه قال فيما رُوي عنه: {أخبروه، إنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله
وماله وأعطيته من الإبل مائة}. رجع قومه فأخبروه، فوجد في كلمات رسول الله منقداً من أزمته، فخرج سرّاً
وقدم على رسول الله وأعلن إسلامه بين يديه، فردَّ عليه ماله وأهله وأعطاه من الإبل مائة كما وعده، ثم
استعمله على من أسلم من قومه من فهمٍ وثمالة، فسخر كفاءته الحربية في نُصرة دينه ونبيه، فقطع أحلافه
الجاهلية، وقام بغزو ثقيف المعادية لخير البرية، حاصرهم في حصنهم لا يخرج لهم سرحٌ إلا أغار عليه
وعليهم، حتى دفعهم إلى أن يُسالموا رسول الله، ويدخلوا في دين الله.

وما السيف إلا زُبْرَةٌ لو تَرَكَتُهُ، على الخِلْقَةِ الأولى لما كان يقطعُ
واحتوى باذان عامل اليمن لكسرى وهو صاحب خبرة إدارية عظمى، دعاه ووعدته إن أسلم أن يُبقيه على ملكه،
فأسلم وأبقاه على ملكه، فحكم بعدل الإسلام ونوره، ولم يجرئ العنسي على الخروج برده إلا بعد وفاته.
لم يرضع الدُّلَّ من ثديي مُربية، حتى يشبَّ ولم يصبر على عارٍ
ولم يزل يحتوي زعماء مكة وينتزع ما في قلوبهم عليه بالمال حتى غدا عندهم أحب من ما على ظهرها من مال
وعيال، والحال: أي نبي الله!

قابلتنا دوماً بصبحٍ صبيح.

لو جازَ أن تسلكَ أَجفاننا، إذا فرشنا كُلَّ جفنٍ قريح
لكنها بالحب مُعْتَلَّةٌ، وأنت لا تسلك إلا الصحيح
فله ما أعظمه قائدا مُحَنَكًا، وداعيةً مُسَدِّدًا، وإداريا حكيما مُجَرِّبًا، ونبييا مُرْسِلا.
صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.
كان صلى الله عليه وسلم خبيراً بخصائص عدوه.
رُبَّانُ نعرفةٍ بصيرٌ ماهرٌ.
فإذ أبهم شخصٌ في الملا كشفت فِطنته عن كلِّ مُبهم
كان على درايةٍ تامةٍ بخصائص الشخصيات القيادية المعادية. يسوس كلَّ قائد بما يناسبه، ويتعامل معه بما
يدفع شره.

مواهبُ حازها هبةً وإراثًا، وأحيائها مَوَاتًا واشتراها
قدمَ عليه مكرزُ موفد قريش في الحديبية، فلما رآه قال: {هذا رجل فاجر} فكان كما قال، وأقبل الحليّس
فقال لصاحبه: {هذا من قوم يتألهون، ابعثوا الهدى في وجهه}، فبعثوه في وجهه واستقبلوه يعجّون بالتلبة
فرجع إعظامًا لما رآه وقال: {سبحان الله! ما ينبغي لهاؤلاء أن يُصدّوا عن بيت الله}، وطلب من قريش أن يخلّوا
بينهم وبين البيت، فقالوا له: {اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك}، فغضب وقال: {يا معشر قريش! ما على
هذا حالفناكم وعاقدناكم، أيصدّ عن بيت الله من جاء مُعظّمًا له، والذي نفس الحليّس بيده، لتُخلن بين محمد
وبن ما جاء به أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد}، وتلافياً للموقف الذي يُهدد بنسف الحلف، قالوا:
{يا حليّس إن الذي تراه مكيدة! فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا شيئاً منه}.

وهكذا معشر الإخوة: بمعرفة الحليّس استطاع أن يشقّ عصا قريش، ويوقع الخلف بينها وبين حليفها
الحليّس، وأن يفتت جبهة قريش.

كالأجدل الغطريف لاح لعينه خُزْرٌ، فكان عليه مثل الأجدل
ولما أقبل سهيل بن عمرو قال ما معناه: {قد سهل لكم من أمركم، لقد أراد القوم الصلح}.
وفي يوم فتح مكة علم أن أبا سفيان يحب الفخر فأشبع في نفسه تلك العاطفة مُعلنًا أمان من دخل داره، مُكَدِّدًا له
أن الإسلام لا يسلبه الشرف الذي عنده، بل يزيد العزيز عزة وحاله: يا أبا سفيان! دع ما غبر
وادخل بنا في بحثٍ إنَّ واسمها، وخلصنا من ذكر كان والخبر.

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة}

صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.

كان صلى الله عليه وسلم أحكم الخلق تعاملًا
 تُرَاعُ به أُلُوفٌ وهو فردٌ، وليس يَرُوعُهُ العَدَدُ اللَّهُامُ
 كعَضْبٍ صارمٍ الحَدَّيْنِ ماضٍ، ولا كالصَّارِمِ السَّيْفِ الكَهَامُ
 لما نقضت قريش عهد الحديبية أدرك بفطنته أن أبا سفيان سيأتيه فقال ما مظلومه فيما روي عنه: {لَكأنكم
 بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في الهدنة، وهو راجع بسخطه}.

وأدركت قريش ما في الأمر، فأرسلت بالعَبْقَرِيِّ صخر
 يأكّد العهد وعند رَمْلَةٍ، كان نزوله وحطُّ رحله
 قدم أبو سفيان المدينة، والتقى بابنته أم حبيبة التي لم يرها منذ أن هاجرت إلى الحبشة قبل بضع عشرة
 سنة، ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله أسرعته فرفعته. فقال: {أرغبت بالفراش عني أم بي عنه يا
 بُنْيَّةُ}، فانبرت خافضةً لمن يُحارب دين الله، معظّمةً لشأن رسول الله قائلة: {بل هو فراش رسول الله. وأنت
 امرؤٌ مشرك نجس لا أحب أن تجلس عليه}.

فحالَ الجَرِيضُ دُونَ القَرِيضِ، وضربَ اليَعَاسِيْبِ دُونَ الضَّرْبِ
 جوابٌ علم من خلاله أنه يطرق باباً من حديد في محاولة الوصول إلى كلمة واحدة من ابنته التي هي من صُلْبِهِ
 لأنها غدت ابنة الإسلام لا ابنته، فمن أين له أن يصل إلى سرٍّ من أسرار نبي الله؟ وهو الذي لم يستطع أن يمسَّ
 فراش رسول الله.

تركها ومضى وهو يشعر في أعماقه أن بوادر فشله أضحت عظيمة.
 ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، وبادر بطلبه شدّ العقد وزيادة المدة بحجة غيابه عن عقد
 الحديبية، فروي أنه قال له رسول الله: {هل كان من قبلكم حدث؟} فأجاب: {معاذ الله! نحن على العهد
 والمدة}. فأغلق الأبواب عليه بما مضمونه: {ما لم يكن حَدَثٌ فنحن على عهدنا بالحديبية}، أعاد القول على
 رسول الله، فلم يرد عليه ولم يلتفت له.

فلجأ إلى الاستعانة بكبار الصحابة ليشفعوا له عند رسول الله فكان جواب كل أحد في مضمونه: {جواني في
 جوار رسول الله لا يجير أحد على رسول الله}، وزاد عمر رضي الله أن قال له: {أنا أشفع لكم! والله لو لم أجد
 إلا الدَّرَّ لجَاهَدْتُكم به}، وطلب النصح من علي رضي الله عنه، فنصحه أن يجير بين الناس ويلحق بأرضه وما
 تُغني عنه، فما زاد على أن لعب به كما قال قومه.

فقد خاب مسعاه وظل وقوفه على مطلبٍ ما تحتته اليوم طائلٌ
 فعاد راجعاً بغير جدوى، إذ لم يكن له بها ما يهوى

عاد بالخَيْبَةِ، صَفَرُ الْعَيْبَةِ.

لم يتعرَّف على ذرَّةٍ من خُطَّةٍ، ولم يشدَّ عقدا ولم يزد مُدَّة

واتخذ النبي أهُبَةَ السفر، ولم يُبَيِّن للجماهير الخبر

بثَّ عيونه ليحول دون وُصول المعلومة لعدوه، وصرف الأنظار عن مقاصد جيشه ببعث سرية إلى إِظْمَةِ بقيادة أبي قتادة، ليُوهِم الناس بالتوجُّه لتلك الناحية، ومضى بجنده إلى أن نزل مرَّ الظهران، ثم قام بشن الحرب النفسية على عدوه، إذ أمر بإيقاد النار فأوقدت عشرة آلاف نار ملئت الأفق في لحظة واحدة، فكان لعسكره هيبة تنخلع لها القلوب، وأبو سفيان في مهمة ليلية يتحسس الأخبار مع بعض قومه إذ رأى العسكر والنيران والأبنية، فقال دَهْشًا: **{ما رأيت كالليلة عسكرًا ولا نيرانًا}**.

ما خطر بباله أن يكون هذا جيش رسول الله وأن يتحرك على ضواحي مكة دون أن يُعرف خبره، سمعه العباس فعرفه وأقبل إليه وقابله وأخبره بما لا قبلَ له به، والعباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: **{ما الحيلة يا أبا الفضل؟}**، قال: **{أركب معي على البغلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم}**، ورآه عمر رضي الله عنه فأقبل يشتدُّ إلى رسول الله يستأذنه في ضرب عنقه ولكن العباس قد أجاره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتني به الغداة. فما أفادت ابن حَرْبٍ حرُّه، حتى أتاه صَاغِرًا فيمن أتى وبات ليلةً النابغة عند العباس رضي الله عنه ينتظر الغداة ليلقى رسول الله، ولعل الأفكار قد انثالت عليه في تلك الليلة.

فذكرى لقائه بهرقل ماثلة بين عينيهِ يوم خرج من عنده والغيط يأكل قلبه وهو يذكر قوله له: **{إن كان ما تقول حقًا فسيملك قدميَّ هاتين، ولو أعلم أنني أخلص إليه لتَجَشَّمتُ لقاءه، ولم كنت عنده لغسلت عن قدميَّه}**.

ولعل ذاكرته عادت به إلى مسامرتة مع أمية بن أبي الصَّلْت قبل البعثة يوم كان يذكر له أمية أن نبيا يُبعث في الحرة، ثم لقيه بعد البعثة في اليمن وقال له كالمستهزئ به: **{يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تنعته، فقال أمية: إنه حق فاتبعه، لكأنني بك يا أبا سفيان إن خالفته رُبُطت كما يُربطُ الجدِّي حتى يُؤتى بك إليه ليحكم فيك بما يريده}** وقد كان ما ذكره أمية.

وجيئ به الغداة فعُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغضى بأبي هو وأمي وروحي عن كل ما مرَّ به معه، ما عَنَفه وما وبَّخه، بل عرض عليه سعادة الدنيا والآخرة، وبعد مُداولة أسلم وأعلن الشهادة، فقال عباس بن عبد المطلب: **{هذا زعيم مكة وقد غلب فاجعل له شيئًا به يعتزُّ وربك المذلَّ والمعزَّ}**

فَأَمَّنَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ دَارَهُ، وَتِلْكَ مِيزَةٌ لَهُ وَشَارَةٌ

هنا معشر الإخوة نقف أمام صورتين متقابلتين، ندرك من خلالهما عظمة التخطيط والحكمة عند القيادة النبوية التي فاقت كل قيادة بشرية مهما اتخذت من تدابير أمنية.

له طريقٌ إلى العُلَيَاءِ مُختَصِرٌ، كالسيل بالليل لا يُبْقَى ولا يذُرُّ

الصورة الأولى: يوم أن تمكن أبو سفيان أن يُحزب عشرة آلاف مقاتل من قبائل الحجاز ونجد وحلفائه اليهود على حرب رسول الله وكان يُمكن أن تسقط المدينة، إلا أن عظمة القيادة النبوية استطاعت أن تقيم الخنادق خلال أيام حول المدينة فصمدت أمام أشرس هجوم وأعنفه، ورُدَّتْ جيوش الأحزاب خائبة ذليلة، أمام جيش لا يجد من الثمرات ما يقيم به أوده.

فانهزمت قريش يوم الخندق، والنصر دائماً حليف المتقي

إذ أرسل الله تعالى جنده، ونصر الله تعالى عبده

أما الصورة الثانية: يوم أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها إلى طَوْرِ الهجوم على عدوّه، فتحرك بنفس عدد الأحزاب، بعشرة آلاف مقاتل لينزل مرَّ الظهران قرب مكة، وأول إنجاز وأعظمه لهذا الجيش هو أسر القائد العام لقوات مكة، وإعلان إسلامه قبل دخول مكة، ومعنى هذا انتهاء المعركة من تلك اللحظة، فقد رجع أبو سفيان يصرخ في قومه: **{يا معشر قريش! قد جاءكم ما لا قبل لكم به. فقالوا: قَبَّحَ الله من وافد قوم}، وكذا قالت زوجته فقال: {لا تغرّكنم هذه، لقد رأيت ما لم تروا والله ما لأحد بهم من طاقة}.**

كلَّ لَعْمَرٍ الله هذا الجيشُ، لا تستطيعُ ردّه قريشُ

والمصطفى يزحف في عساكرٍ ضاق به رحب الأراضي والفلا

كتائبُ كأنها كواكبٌ وهو بها كأنه بدر الدُّجى

وخالدٌ قيل له ادخل من كُدَى، ودخل النبي من أَعْلَى كَدَا

وركز الراية بالحُجُونِ، وكان فتحاً قرّة العيون

فتحاً به كُسِرَت الأصنامُ، والشرك ذلٌّ وعلى الإسلام

وطَهَرَ الكعبة مما فيها، من نسبة الشُّرك إلى بانيها

وقام عند بابها خطيباً، يقول لا عتبَ ولا تثريبَ

فدخلوا في السَّلم منقادين، لكلِّ حكمه ومذعنين

وبايع الرجال والنساء، مُسامحاً لكلِّ من أساء

ورفع الشَّهْم بلالُ كعبه، إذ قام بالأذان فوق الكعبة

وردت مكة من جبالها، صوت نداء الحق من بلالها
قولوا بربكم هل على وجه الأرض قيادة يمكن أن تجاري هذه القيادة النبوية، أقول: لا ورب البرية.

فما كل برقٍ لاح في الجو ممطرٌ، وما كل قطرٍ لو تأملت وابلٌ
وما كل من رام العلى أدرك العلى، وما كل من يعلو السروج بفارس
{لقد كان لكم في رسول الله أسوة}

صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.

وبعد إخوتي:

هذا رسول الله، خير عباد الله.

اسم حروف المعاني فيه واضحة، وكل عالٍ سواه حرف إدغام
تعود برأيه الظلماء صبحاً، ويُسْتَسْقَى بحكمته الغمام
حكمة فياضة، عبقرية نادرة، ذكاء ونجابة، فطانة وحصافة.
له رتبة ما نالها الدهر غيره، تسامت به فوق السها والفراق
أعظم قيادة بشرية، تسوس الناس بالحب والحكمة.

قادر الغني بالحب والحكمة حتى زهد في ماله، والفقير حتى اغتنى به.

قادر من يأتيه راغباً في الجريمة بالحب والحكمة فما خرج إلا والجريمة أبغض شيءٍ إلى نفسه.

تأتيه الأموال فيوزعها على جنده، ولا يستأثر بشيءٍ منها لنفسه.

يأتيه قليل اللبن فيجمع له أهل الصفة لعلهم أنهم لا يجدون مثله.

أحب الخير لقومه، وكاد يهلك نفسه خوفاً عليهم أن لا يؤمنوا حتى عاتبه ربّه.

كل ذا ولم ينتظر مقابلاً منهم، فضلا عن أن يذكرهم بمنجزاته صباحاً ومساءً كأنما يمنّ عليهم، فاطمأنوا له،

ونفذوا أوامره، وأحبوه حباً لا يعلم مثله، تهافتوا على بصاقه، وتقاتلوا على فضل وضوئه، وتقاسموا شعر
رأسه.

تغلغل حبه في كل قلب فبأديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

زكاه ربه، وشهد له خصمه، مثل أعلى، قدوة حسنى، شواهد حكمته لا تكاد تُحصى.

أحاول ذا ومن لي بالمحال.

بذلت الوسع لكن كل مهري، بأول غلوة ونبت نصالي

فما محلٌ فمي وشعري حيث أتى ، مدحٌ من الله مَثْلُوْ بَكلٍ فم
فذكره قد أتى فيها اللَّتى وسبأ ، وفضله ظاهر في نون والقلم
لكنني حائِثٌ حول الحمى طَمَعًا ، شاه الذي حوّل ذاك الحيّ لم يحْمِ
صلى عليه ربنا وسلم ما استقبلت أودية غيث السما.

بهذا الخلق سجّل أتباعه صلى الله عليه وسلم صفحاتٍ كالقلائد في أجْيَادِ الخرائد. أَرَقَّ مِنَ النَّسِيمِ وَأَطْيَبَ ،
وألطف من الزُّلالِ وأعذب ، وأحلى من الشَّهد وأعجب.
لقد مُزِجَتْ محبَّتُها بروحي ، مِزَاجَ الشَّهد بالماء القراح
ففؤادي عن هواها غير سالي
سحرتني يا ترى من ذا الذي ، علّم الصَّفحةَ بالسَّحر الحلال
هذا عمر رضي الله عنه :

ما رآه الحق يوماً راکعاً ، لهوى نفسٍ ولذات سُلَافٍ
في خلافته الراشدة جاءه وفد العراق بقيادة الأحنف لمقابلته ، فوجدوه يَهْنَأُ إبِلَ الصدقة ، فلما رآهم نادى : {يا
أحنف ! أعن أمير المؤمنين} . فقال رجل من وفد العراق : {رحمك الله يا أمير المؤمنين ، هَلَّا أمرت عبدا من
عبيدك يَهْنَأُ عنك؟} . قال : وهل عبد أعبدُ مني ومن الأحنف؟ ! ألم تعلم أن من ولي أمر المسلمين كان لهم بمنزلة
العبد من السيّد} .

رِيَانَةً كَالنَّسِيمِ الغَضَّ عَاطِرَةً ، يَهْفُو إليها وَيَضْبُو كُلُّ ذِي كَبِدٍ
يُرْقَى السَّليْم بها وَيَنْتَعِشُ الصَّدي
وذا أبو عبيدة رضي الله :

مَكِيْثٌ ما اسْتَحَفَّتْهُ الرِّزَايا ، وما رَاعَتْهُ قَارِعَةُ الخُطُوبِ
وهو بالشام والطاعون في شِدَّتِهِ ، أرسل له عمر رضي الله عنه يريد أن يستبقيه ، وكان قد عرضت له حاجة
ويريد أن يُشَافِهَهُ ، فعرف مُرادَه وكتب له : {إني في جُنْدِ المسلمين ، لا أرغب عنهم ولا أفارقهم حتى يقضي الله
في وفيهم قضاءه} ، فلما قرأها عمر بكى رضي الله عنه ، فقليل له : {أمات أبو عبيدة؟ قال : لا ، وكان قد} . حال
عمر :

شَوْقي إليه كشوق الواجدِ الدَّاءِ إلى الشِّفاءِ أو العطشانِ للماءِ
وقد أصبحتُ تنوِينًا وأضحى ، حبيبي لا تُفارقهُ الإضافة
ولم تزل له اللّاذقية تُدلي بشهاد خَزِيمِيَّةٍ ، في حنكته القيادية.

لما علم أبو عبيدة أنها حصينة، ولها باب عظيم لا يُفتح بسهولة، عسكر بعيداً عنها، ثم أمر فحفرت حفائر تسترُ الفارس راكبا، ثم أمر بالرحيل عنها نهارا، حتى ظن أهلها أنه راجع عنها، ثم أمر جنده أن يعودوا بهدوء لتلك الحفائر ليلا، وأصبح أهل اللاذقية لا يرون للجيش الإسلامي أثراً، ففتحوا باب المدينة آمنين، وأخرجوا سرّحهم، فباغتهم جند الإسلام من تلك الحفائر يصيحون بهم، فأسقط في أيديهم وولّوا مُنهزمين، فدخل المسلمون عليهم الباب فغلبوهم وفتحوا اللاذقية بفضل رب البرية.

وكانت وليس الصُّبحُ فيها بأبيض، فأُمست وليس الليلُ فيها بأسود

وتم أمر الشّامِ والتُّغور، يملأها الأمير والمأمور

وبعدَ ذا ما بعدَ ذا وبعدها

ولّى عظيمُ الرومِ قائلاً للبلدة، هذا وداعٌ لا لقاء بعده

إني لأرجو أن أقول في القريب:

ولّى حسيّسُ الفرسِ قائلاً: هذا وداعٌ لا لقاء بعده

وذا عمر بن عبد العزيز:

عادلٌ ما كاد زَيْدُ النَّحوِ في عصره يُعزى إليه ضرب عمرو

وإذا طاش رجالٌ لم يطش، أين رضى من حلأه وتبيّر

لما قال له ابنه: {يا أبتى ما عليك أن تمضي إلى ما تريد من العدل، فوالله ما أبالي لو غلّت بي وبك القُدور.

قال: يا بني! إنما أروّضُ الناسَ رياضة الصَّعب، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل فأخره حتى أخرج معه

طمعاً من طمع الدنيا فإن نفروا من هذا سكنوا لهذا}.

فكان فاروقها الثاني بلا لعب، أحيا الذي مات من عدلٍ ومن أدب

أعادها سيرة هزّت عدالتها مناكب البيت من زهو ومن طرب

وذا فارس الإسلام شيخ البخاري أبو إسحاق السُّرماري:

له عند ضيق مَجَالِ الرجال، عزائمٌ ليست لببيض الظُّبا

خرج مع صاحب له إلى بلاد الغُزَيّة، فرأى في جيشهم فارساً يعظّمونه يعدل عندهم ألف فارس، فاستعد

لبرازه، وخرج له من الغد بعمود في كمّه، وتظاهر أمامه بالانهزام حتى أبعده عن جيشه، ثم عطف عليه

بالعمود فضربه به فقتله وهرب لقومه، فأرسلوا من خيرة فرسانهم خمسين في طلبه، فثبّت تحت تلّ حتى

جازوه، ثم كرّ عليهم من خلفهم بعموده يضربهم واحداً واحداً، حتى قتل تسعة وأربعين وأمسك الأخير

فقطع أنفه وأذنيه وأطلقه ليكون لمن خلف آية.

ذهب الحمار يطلب قرنين، فعاد مصلوم الأذنين
فلله در السُّرماري:

أسدُّ له في كلِّ ثغرٍ مريضُ

ومتى حلَّ بدارٍ قد بَعَتْ حلَّ فيها الويلُّ منه والتُّبورُ

كان الجيش الإسلامي يحاصر بلدةً قائدها قاعد على صُفَّة، فرماه السُّرماري بسهم فغرَّزه في الصفة، فأراد أن ينزعه فخاط يده بسهم آخر، فتناول الكافر لينزعه فرماه بثلاثٍ في نحره، فلقِيَ حتفه واستسلمت البلدة له، فلله درّه.

يخطفُ الأرواحَ من أعدائه، مثلما تختطفُ الطيرُ الصقور
وذا إياس القاضي:

علمُ أتَي من خالقه حكمةً تُرغم أناف الرِّجال

احتال قوم على وكيعٍ صاحبِ خرسان ليشهد لهم، وكان ذا طيش أخا حماقة.

يُثرثرُ بالكلام وليس يدري مكان الرأس أو يدري مداسه

والقاضي لا يقبل شهادته، فلما دخل على القاضي أظهر له الحفاوة، وأجلسه بجواره ثم قال له: {مرحبا أبا مطرفٍ وأهلا بك! ما جاء بك؟ قال جنئت لأشهد لفلان في كذا. قال: أبا مطرف! إنما يشهد الموالي والتُّجار والسُّوق، مالك ولها؟ قال: صدقت!. ومضى. فقال له بعض خاصته: قد خدعك، إنه لا يقبل شهادتك}.

فأرغى وأزبد، وقال: {لو علمت لفعلت به كذا وكذا بالعصا}، وهددَ وهذًا.

ورماه من رثِّ الكلام وغثّه وقبيحِه باللَّحْن والإعراب

وكان قِرْدًا ذا ذَنْب، فعاد قِرْدًا أزعراً

وذا عمرو بن العاص رضي الله عنه:

له في كل ميدان زَبيرٌ، وفي نادي الدُّهات له السيّادة

كان يحاصر أحد حصون مصر المنيعه، فطلب البطريق منه رجلاً يُفاوضه، فذهب عمرو بنفسه، ودخل على البطريق على أنه مُرسلٌ من عمرو، ولا معرفة للبطريق بعمرو.

دار بينهما حوارٌ نَمَّ عن عبقرية عمرو وحنكته ودهائه، فعزَم البطريق على الغدر به، وأوعزَ إلى حرس حصنه أن يقتلوه عند مُغادرته، وزوَّده بجائزة سَنيّةٍ إمعانا في خداعه، -لأنه سافلٌ لا يعرف الأنفة-، لمَح عمرو في الحرس ما أثار ريبته، فعاد من فوره إلى البطريق قائلاً: {أيها البطريق: إن الجائزة التي وهبتنيها لا تكفي أبناء عمي جميعاً، فهلاً أذنت لي أن آتيك بعشرةٍ منهم لينالوا من كريم عَطائك ما نلتُ} فسَرَّ بها البطريق،

وقال: {نعم}، مُمَنِّيًا نفسه بقتل عشرةٍ معه، وأشار إلى حرسه أن خَلُّوا سبيله، فذهب عمرو وقد نجحت مكيدته، ونجا من غدره، ورُدَّ كَيْدُ الكافر في نَحْرِهِ، ولم يزل عمرو يُحاصر مصر حتى استسلمت له، ولقيه البطريق الغادر بعد الفتح فعرفه وقال له: {أَأَنْتَ ذَاكَ؟!}. قال: نعم على ما كان من غدرك!.

وذاك لَكُمْ إِذَا الْعَنْقَاءُ أَضْحَتْ، مُرَبَّةً وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيِّ
ومردودٌ خِدَاعُكُمْ عَلَيْكُمْ كما رُدَّ النِّكَاحُ بِلَا وَلِيٍّ

وذا ليثُ الإسلامِ الكَرَّارُ، أبو سُلَيْمَانَ المِغْوَارِ، سيفَ سَلَّهِ الله على الكَفَّارِ:

يَهْوَى الرِّمَاحَ قُدُودًا ذَاتَ مُنْعَطَفٍ، والمُرْهَفَاتِ خُدُودًا ذَاتَ تَوْرِيدٍ
كَمْ مِنْ غَارَةٍ عَنْ حِمَى الْإِسْلَامِ كَفَكَفَهَا بِالضَّرْبِ وَالطَّنِّ أَوْ بِالرُّعْبِ وَالرَّهَبِ!
قِمَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ، دِهَاءٌ وَعَبْقَرِيَّةٌ.

لَقِيَ هُرْمُزُ فَخِيرَهُ فَاخْتَارَ هُرْمُزُ المِوَاجِهَةَ.

قام خالد بتقسيم جيشه وانطلق معَمِّيًا وجَهِتَهُ، مُظْهِرًا أَنَّهُ مَتَّجِعٌ لكَاطِمَةَ، فوجَّهَ هُرْمُزُ كَافَّةَ قُوَاتِهِ إِلَى كَاطِمَةَ وَأَمَرَ بِحْفَرِ الخَنَاقِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَخَالِدٍ. فَحَفَرُوا وَاسْتَعَدُّوا، وَعَلِمَ خَالِدٌ فَتَوَجَّهَ إِلَى الحَفِيرِ وَتَرَكَ كَاطِمَةَ، فَاغْتَاظَ هُرْمُزُ وَأَصْدَرَ أَمْرَهُ لِقُوَاتِهِ بِالعُودَةِ إِلَى الحَفِيرِ لِيَسْبِقُوا خَالِدًا، وَعَلِمَ خَالِدٌ فَتَبَاطَأَ حَتَّى وَصَلَ بِجَيْشِهِ إِلَى الحَفِيرِ وَحَفَرُوا الخَنَاقَ وَرَبَطُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّلَاسِلِ، حِينَهَا عَلِمَ خَالِدٌ فَعَطَفَ بِجَيْشِهِ عَلَى كَاطِمَةَ، فَأَرْغَى هُرْمُزُ وَأَزِيدَ، وَبَرَبَرَ وَجَرَ جَرٍّ وَتَوَثَّرَ، وَأَصْدَرَ أَمْرَهُ لِجَيْشٍ مُنْهَكٍ مِنْ حَفْرِ الخَنَاقِ وَحَمْلِ السَّلَاسِلِ، بِالعُودَةِ إِلَى كَاطِمَةَ وَخَالِدَ هُنَاكَ فِي انتِظَارِهِ.

لِمَوَاضِيهِ صَلِيلٌ وَزَيَّيرٌ، وَمَتَى نَازَلَ فَاللَّيْثُ الهَاصُورُ

وَمَا أَنْ التَّقِيَا حَتَّى دَعَا هُرْمُزُ خَالِدًا لِلْبِرَازِ، وَعَهْدَ إِلَى حَامِيَةٍ مِنْ فَرَسَانِهِ أَنْ يَغْدِرُوا بِخَالِدٍ، وَخَالِدُ خَالِدٍ:

ذُو انْتِقَامٍ شَقِيَّ الْجَانِي بِهِ، وَعَلَى الْبَاغِي عِبُوسٌ قَمْطَرِيرُ

مَالَ عَلَيْهِ خَالِدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَاحْتِظَنَهُ، فَحَمَلَتْ الحَامِيَةُ عَلَى خَالِدٍ لِلْغَدْرِ بِهِ فَأَتَاهُمُ الْقَعْقَاعُ فَأَبَادَهُمْ وَلَا يُهْزَمُ جَيْشٌ فِيهِ مِثْلُهُ.

وَقَامَ خَالِدٌ بِدَبْحِ الْغَادِرِ، فَكَانَ أَمْرُهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

وَانْتَصَرَ الْحَقُّ عَلَى الْمَكَابِرِ

رَكَنَ الْفُرْسُ لِلْفَرَارِ، بَعْدَ قَتْلِ قَائِدِهِمُ الْخَتَّارِ، فَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسُرُونَ، فَمَا نَجَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَكِبَ

السُّفْنَ عَارِيًّا أَوْ شَبَهَ عَارٍ.

رَخِيصًا لَا يُسَاوِي رُبْعَ فَلَسٍ، إِذَا مَا بِيَعُ فِي سُوقِ الدَّأَوَابِ

إنه خالد: قائدٌ نادر، دقيق في رَسْم الخُطط، سريعٌ في التنفيذ مهما كانت المخاطر، قُدرة فائقة على ابتكار الأساليب المفاجئة، لا ينام ولا يُنيم، ولا يبييتُ إلا على تعبئة.

طَوَّق المصيخة على شكل دائرة وهم يحتسون في عرس زعيمهم الخمر، وفي مُنتصف الليل شنَّ هجومه الصّاعق عليهم من كل جهة، فكان أول قتيل زعيمهم الذي لم يُفَق بعد من السكر حتى أطاح خالد برأسه في جَفنة الخمر، وصَحَا أهل البلدة على وقع السيوف والأسنة، فلم ينجُ منهم إلا القلة.

ولما حال الخندق بينه وبين أهل الأنبار، نحر الإبل الهزيلة العجاف، وردَم بها النُقْط الضيقة من الخندق وعبر إليها — إلى الأنبار — فاستسلمت الأنبار.

وفي أسلوبٍ صاعقٍ مُفاجئٍ اختطف قائد نصارى العرب في عين التمر من قلب صفوف جيشه وعاد به أسيرًا، فدمرهم دون أن يخسر جنديًا واحدًا.

وبارز رجلا من فارس يعدل عندهم ألف فارس، فصرعه ثم اتكأ عليه ودعا بَعْدائه، إمعانا في إغاطة أعدائه.

وفي إنجازٍ يعجز عن تحقيقه أعتى الجيوش المدججة، بكافة الأسلحة، يُسيطر على أكثر من ثلثي العراق في أربعين يومًا.

بروح ما تعودت الخنوع.

عَضْبُ إذا ما قام يومًا خاطبًا، فالهَامُ تسجد والجماجم تركعُ

ذاك سيف الله لا تُبصرُ في، حدّه الماضي فلولًا وانتلماً

فلله درّه كم اندقّ في يده من سيف.

قد أتعب السيف من طول القِرَاع به، فالسيف في راحةٍ منه وفي تعبٍ

إنهم أتباع رسول الله. {أولئك الذين هدى الله}.

هم المصيبون في الآراء والحكما، هم الأسود إذا ما جاهل جهل

وهم للدين هادوا كل مَاشي، ومن ماشاهم سبق المَاشي

وهم إذ تخرص الخطباء لسن، سواء منهم كهلٌ ونَاشي

أضاءوا لنا الغبراء والشرق والغرب

وأحيوا لنا المَسْنون والفرض والنَّذب

وهم منهلٌ عذب رِدُوا المنهل العذب

وهم أصلٌ ونحن له فروع، وهم متنٌ ونحن له حواشي

أيها الجيل: قد تقتضي الشجاعة أن تجبن ساعة.

لا تضع السَّوْطَ إن أغنى اللسان، ولا تضع السيف إن أغنى السوط.

وإذا هممت وُرُودَ أمرٍ فلتمس قبل مَوْرِدِهِ طريق المخرج

ومُدَاراةً لا إدهانا:

تُخْبِي بها نارًا وتقذح وُدًا.

فعند الحكماء الشرُّ بالشرِّ لا يُطْفئ، من شكَّ فليوق نارَيْن والينظر هل تُطْفئُ إحداهما الأخرى

والنار بالماء الذي هو ضدها، تُعْطِي النَّضَاجَ وطَبْعُهَا الإحراقُ

{ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا}

وقد تكون بحدَّ المَشْرِفِيَّاتِ.

ففي السيف نجاةٌ حين لا ينجيك إحسان.

واللوم للحرِّ مقيمٌ رادعٌ، والعبد لا يردعه إلا العصا

أيها الجيل: خاطر من استغنى برأيه

نارُ الرَويَّةِ نارٌ جدُّ منظجة، وللبديهة نارٌ ذاتُ تلويح

وقد يُفْضَلُهَا قومٌ لعاجلها، لكنَّه عاجلٌ يمضي مع الرِّيحِ

تأنَّ وشاورٌ فإن الأمور، منها مضى ومُستَغْمِضُ

ورأيان أفضلٌ من واحدٍ، ورأيُ الثلاثة لا يُنْقَضُ

وقد جاء في الذكر: **{وأمرهم شورى بينهم}**، **{وشاورهم في الأمر}**.

شاورٌ وإن كنت من أهل المشورات.

فالعَيْنُ تَلْقَى كِفَاحًا من دَنَى ونَأَى، ولا ترى نفسها إلا بمرآتٍ

أيها الجيل:

أيقظْ بصرَحتك القوية أُمَّةً، خَطفِ الكرامة من حِمَاها خاطفٌ

في عصرنا دَوَامَةٌ لم يزل، يسقط فيها الذنب والتعلُّبُ

يسقط فيها غاشمٌ ظالمٌ، وسادرٌ في لهوه أجذبُ

وَوَاهِمٌ خَدْرَةٌ وهمه، جَنَى عليه المال والمَنْصَبُ

{ادع إلى سبيل ربك}، **{وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك}**، واقفُ خطا نبيك.

ووقوفًا مع المظلوم حتى يأخذ حقه، ومع المعتدي حتى يُقْتَصَّ منه، وتصديًا للمفسد حتى يقف عن باطله،

وإغارةً على المنكر حتى يتم تغييره.

إن أمةً يقع فيها الإفساد فيجد من ينهض لدفعه أمة ناجية.
وأمة يظلم فيها الظالم وبفسد المفسد فلا ينهض لدفع فساده أو ظلمه، أمة بنجاتها مُقامرة، يوشك أن يعمّها الله بعذاب من عنده.

فاصرف قَواك لمن يُحارب شرّنا، من كلّ ذي كيدٍ له وعداءٍ
وابرزْ إلى الميدان وأمر بالهدى.

وأنه عن العصيان والفحشاء، لا تترك الميدان للسفهاء
ما أكثر اليوم الدعاة إلى لظى، وأقلّ من يدعو إلى البيضاء
{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض}، {والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض}.
وكلُّ امرئٍ يصبو إلى ما يُشاكله.

بلغوا رسالة الله، ولا تخشوا أحداً إلا الله، {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}.
فالأمر بالمعروف في ديننا، شعيرةٌ يصفو بها المشربُ
والنهي عن منكر أفعالنا، لولاه لم يسلم لنا موكبُ
والرؤى لا يبقى على خصبه إن غاب عنه العارضُ الصيبُ
يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

{لا تختلفوا فتهاكوا}، {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}.

ليس الشقاء بزائلٍ عن أمتي، حتى يزول تفرُّقٌ وتحرُّبُ
إن أعداء الأمة يسعون جاهدين في الوقعة والمكر بأهل السنة لنشغلوا بينهم عن الحرب مُجتمعين على عدوهم.
فعلى كل طريق للهدى، أوقد الطاغوت تنورَ عداء
ولذا فرقتنا لا تنتهي قبل أن نعلن لله الولاء
سنة الله لا تُحابي أحداً، ورضا الأعداء ليس ضامناً.
وعند التفرُّق تقود الجرّبا وتهبُّ النكبا

فليكن أماننا دائماً طلباً للمصلحة العليا ولو تحققت على يد من يخالفنا من إخواننا قول ربنا: {ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين}.

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحدٍ، فليديه ألف يدٍ أُمّامي تشفعُ
أيها الجيل:

لا تعدلنّ بقول الله قول فتى، ولا بسنة خير الرُّسل قول غبي

تعويداً على نصوص الوحي، بفهم من أنزل عليه الوحي، {قل إنما أنذركم بالوحي}.
 في كتاب الله ما يردُّ على كلِّ ذي هوى لو تدبَّرنا، {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}.
 هذا ابن عباس يستهل مناظرته للخوارج بقوله: {جئناكم من عند أصحاب رسول الله وليس فيكم منهم أحد،
 وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله، ما تنقمون على علي؟ قالوا: حكم الرجال والله يقول: إن الحكم إلا لله.}
 فقال كاشفاً سوء فهمهم لكتاب الله: {أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله ما ينقض قولكم، أترجعون؟ قالوا: وما لنا
 لا نرجع! قال: فإن الله قال في جزاء الصيد: يحكم به ذوا عدل منكم. وفي الشقاق بين الزوجين: فابعثوا حكماً
 من أهله وحكما من أهلها، ناشدكم الله! اتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أم في
 أرنب ثمنه رُبْع درهم أو في بُضْع امرأة}، واستمر ينقضُ شُبُهَهُم، ويُقيم الحجة عليهم حتى رجع عددٌ كثير
 منهم.

فالشمس لا تخفى على مُبصرٍ، والمِسْك مهما صنت رِيأَهُ فَاحٍ
 ولولا قوة الحجة، لما أفادت حُجَّةُ القوة.
 لا أبلغ ولا أمضى في الرد على الانحرافات الفكرية القديمة والمعاصرة من نصوص الكتاب والسنة بفهم سلف
 هذه الأمة.

فاقرأ كتاب الله جلَّ تدبُّراً، واستمسك بسنةٍ وضياءٍ
 وإذا أتاك النصّ من خير الورى، فاجعله فوق النجم والجوزاء
 يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم:
 الشام في دوامة الخطب الشديد تشكو وعالمنا بلا وعي ولا عقل رشيد
 في شامنا تغدوا ألوف النازحين ولا تؤوب، ويئن قلب الشعب من جور الخطوب
 سل أعين الأطفال عن ما جرى واسأل سواقي دمع أيتامها
 يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم:
 المعركة في الشام معركة عقيدة، إنها معركة الأمة لا يدافع فيها عن الشام وحدها، بل يدافع عن هوية الأمة
 بأسرها أمام تحالف وتكالب صليبي صهيوني صفوي باطني بوذي شيوعي همجي لن تكون الأمة بمأمن إن نجح
 مشروعه فيها.

الشام تلقى بغات العالم الآن، تلقى نصيريتها الباغي وإيران
 تلقى شياطين حزب اللات أرسلهم، سفيهم ناصرا بالظلم شيطاننا
 الشام تصرخ يا مليار أمتها، وقد رأت من جيوش البغي طوفاناً

فلماذا الصمت منا والخمول، فلماذا الصمت منا والخمول
في حمى الشام يدُ الأعداء طالت، وأراها بتغاضينا تطولُ
هل يُجاب صرِيخُ أو يُغاث ملهوفٌ بعد اليوم إن لم تكن هناك نجدة، هل يُلْتَفَتُ لثُكْلَى أو يُغَارَ على عرض أو
يُنْتَصَرُ لمظلوم إن لم تتحرك فينا اليوم نخوة.

إخوانكم يستنصرونكم، وهذا كتاب الله بين أيديكم، آياته تنادىكم: **{يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم}،** أتريدون النجاة! **{تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم}.**
أبدلوا الدرهم والدينار والقنطار وامحوا العار وانفضوا الغبار، من خذل أخاه خذله الله الواحد القهار.
إن النور الذي أشرق في صدر عثمان فخرج من ماله لتجهيز جيش العُسرة لغير غريب أن يُشرق اليوم في نفوسِ
أبية مؤمنة، فمن لها؟

إنها عاصفة هيا أقيموا، دونها سدًا منيعًا وصُروحا
ويا أهلنا في الشام: أزهها لكم بُشْرَى ممن لا ينطق عن الهوى: **{عُقُرُ دار المؤمنين بالشام}.** **{ولا يزال أهل
الشام ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة}،** فمُنْتَهَى ما يستقرُّ عليه حال الشام: هو هَيْمَنَةُ المؤمنين،
وارتفاع كلمة المجاهدين، وانتصار فئة المسلمين الصادقين. فانصروا الله ينصركم، ولازموا الصبر والصلاة،
ورددوا بيقين: **{حسبنا الله ونعم الوكيل}،** فإنما تُنْصَرُونَ بالدين.
ليست العِزَّةُ بالأعداد بل، تُدْرِكُ العِزَّةُ بالله اللطيف
نُصرة الإنسان ليست عُدَدًا، إنما النصرة بالدين الحنيف
إن كان للعدو أموال، فيأذن الله **{فسينفقون ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون}،** إن كان له أعوان، فلكم من الله
عَوْنٌ ومددٌ وسند.

ولسوف يَنْدَحِرُ الظلوم وما أعدَّ وما حشد، فاجعل شعارك في حياتك قل هو الله أحد
أنتم الأعلى دوماً، والطواغيت هم الأدنى وأمر الله أعلى
فاسألوه العون، واستعلو وسيروا واحصدوهم واسجدوا لله في كل صباح ومساءً والعنوهم، إنما المجرم من مال
إليهم فارجموه وارجموهم.

ما دون حلقي سوى كَفَيَّ إن وصلتْ لطم الأنوف وكفي واثق فيه
وكفي واثق فيه، وربى واثقي، وربى واثق فيه.
يا مالك الملك يا رحمن يا سدي، من أمره الحق بين الكاف والنون.
أدعوك دعوة نوحٍ عند مظلمة، أدعوك دعوة أيوبٍ وذو النونِ

سخر لهم يا إله الكون معتصما ، كما منّنت على موسى بهارون
أيها الجيل العراقي :

الحق دولة ، والباطل جولة .

والموت أهون عند نفس الحرّ من حُكم الدّخيل

إثبت فإنك إن ركعت اليوم سوف تظلّ تركع بعد آلاف السنين

{وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا} ، {واصبروا} ، العاقبة للمتقين ، والأرض يرثها الصالحون .

صبرا عراق الرّافدين فلم يزل في ليلك الدّاجي جوار كنس

لا يأس من عون الإله فإن من ، جعل المهيمن قصده لا ييأس

أحببتنا في كل مصر :

ما كلّ سوداء ثمرة .

الرافضة عدو ، بل {هم العدو} .

قد صار إبليس لهم تابعا يقول يال العون والنجدة

ظاهر مذهبهم الرّفّض ، وباطنه الكفر المحض

لهم في معادات الإسلام وأهله حدة .

قتلوا الحجاج وألقوهم في بئر زمزم لم يُراعوا حرمة ، وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم مدة ، وقتلوا من

علماء المسلمين ما لا يحصى عدّه ، هم مع كل عدو للإسلام وأهله ، بمعونتهم دخل التتار بلاد الإسلام ، وقتلوا

ال خليفة ، ودمروا بغداد وأهل بغداد ، وبهم اليوم أسقطت طالبان ، ودُمّرت بلاد الأفغان ، واحتلت العراق وكان

ما كان ، والشام هاهي صارخة :

حذرا حذاري الرافضة ، من قبل حمى نافضة

ما كلّ ما احمرّ للعينين منظره وردّ ، ولا كلّ ما يخضر بالآسي

أرأيت ملسوفا يلوذ بأرقم

لا تتجرّ في سوقكم عقرب ، لا مرحبا بالعقرب التّاجرة

{وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله} .

فلا تصبوا إلى ريّ ذليل ، إذا ما كان عزّ في أوام

يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

ألا تكلت أم الخنوع الثّواكل

أَيَحْكُمُ دِيُوثُ وَيُقْبَلُ حُكْمُهُ ، وهل قال في هذا من الناس عاقلُ
إن الاستسلام للاتفاقيات الدولية في أحوال المرأة والأسرة والعلاقات الاجتماعية مُصادمة للشريعة وعبودية
لغير رب البرية ، واستنساخ لمستنقعات الغرب الآسنة الدنية ، وقضاءً على رسالة المرأة الحياتية أماً وزوجة
وسكناً ومربية أجيال أبيّة.

فالمفسدون لها بكل مُنْعَرَجٍ ، رُسُوا الصُّفُوفَ وَأَتَقَنُوا النَّبَحَ
نَصَبُوا الشُّبَاكَ وَزَيَّنُوا الْقُبْحَ ، يا قومنا فلتسمعوا النَّصْحَ
فَالصَّوْتُ مِنْ طُولِ النَّدَى بَحٌّ

إن الذي يَخْتَالُ فِي دَنَسٍ لَا يَسْتَطِيبُ الْمِسْكَ وَالْفَوْحَ
أَتَرْجُونَ الشِّفَاءَ لَدَى طَبِيبٍ يَدْسُ السُّمَّ فِي كَأْسِ الدَّوَاءِ وَيَمْشِي الْهَيْدَبَا بَيْنَ الْأَسْوَدِ؟!
وقد نسي الأكفَّ على قفاهُ ، وفي أُذُنَيْهِ آثَارُ الْعَبِيدِ
يا أيها الأحرار والأغيار:

دوروا مع الكتاب حيث دار ، لا خير فيمن لا يغار
إن شعوباً ثارت على أنظمة استعبدتها عشرات السنين لهي جديرة أن ترفض العبودية لهيآت دولية تحاول
انتهاك العرض وسلب الكرامة والحرية والقضاء على القيم الإسلامية ، فليكن لسان حال الأبيّ والأبيّة:
فلا الحياة على النُكْرَاءِ مِنْ دِينِي ، ولست أبذل عِرْضِي كَيْ أَعِيشَ بِهِ
ولو تَأَدَّمْتُ زَقُومًا بِغَسْلَيْنِ ، لِيرَى الْمُرْجِفُونَ أَنِّي أَبَاُ مَا عَلَى عَرْضِنَا لَهُمْ مِنْ سَبِيلِ
يا عالم الملة ، يا عالم الملة :

حديث غيرك موضوعٌ وَمُتَّضَعٌ ، وقولك الفصل إن طَارُوا وإن وَقَعُوا
حَدَّثَ فَإِنَّ اللَّيْلَ مَدَّ رُوقَهُ مِحْنَتًا ، ولم يَلْمَعْ بِهِنَ بَرِيقُ
سالت دماءُ المسلمين وعندنا يعلو الهتاف وَيَعْصِفُ التَّصْفِيقُ
عارٌ على العين الصحيحة غَضُّهَا عَنْ مَا يُرَادُ لِمِثْلِهَا أَنْ تُبْصِرَهُ
وَالشَّدُوْا إِن لَمْ يَأْتِ فِي زَمَنِ الشَّجَى ، أقبحُ بصوتِ غَنَائِهِ وَالْحَنْجَرَةُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَى قَاعِ السَّفِينَةِ أَنْ يَلْهَوْا الصَّغَارَ بِهَا يَوْمًا فَتَنْخَرِقُ
فِي كُلِّ نَازِلَةٍ إِلَى الْعُلَمَاءِ تُشِيرُ الْأَحْدَاقُ ، وَتَشْرِبُ الْأَعْنَاقُ.
وهل بَارَقُ يُشْتَامُ إِلَّا مِنَ الْحَيَا ، وهل عَسَلُ يُشْتَارُ إِلَّا مِنَ النَّحْلِ

واجب العالم كما قال العز: { إذا أذَلَّ الحق أن يبذل جُهدَه في نَصْرَه، ويَجْعَلْ نفسه بالذُّلِّ والخمول أولى منه، وإن عَزَّ الحقُّ وظهر وجب أن يكتفي به وأن يستظلَّ بظله }.

عباءتي حين تبغي الريح تعريتي، وقبضتي حينما ترتج أركاني
لا يجوز بحال أن يبقى العلماء الأبرار، مُجَرَّدَ مراقبين للأحداث ومتابعين، بل ينبغي أن يكون دورهم في بناء الوعي وتسديد الرأي دور القادة الموجهين.

لن ينصر الحق المهدد فاجر أو طاغية، والرائد لا يكذب أهله.

وجدير إذا الليث تولت، أن يلي ساحها جموع الثعالب
والليث إن نالت حماء ثعالب، جرم عظيم أن يسمى قسورة
أيها الجيل:

خذا من ابن القيم في المضمون: حصننا الحصين، سنة سيد ولد آدم أجمعين عليه الصلاة وسلام رب العالمين،
من ورد حوض سنته فشرب منه وتصلح في الدنيا ورد حوضه في الآخرة فشرب منه شربة بيده لا يظمأ بعدها أبداً.

فأن لم ترد في هذا الدار حوضه، سنصرف عنه يوم يلقاك أنك
فرد أيها الظمان والورد ممكن، فإن لم ترد فاعلم أنك هالك
أخيراً، أيها الجيل:

دونك العرار المشتار في حكمة المختار، شمه تجد فوق ما تهوى وتختار
قد فاح نشر له فاستنشقه ولا تعدل به العنبر الهندي والغار
برياضه طنب خيامك، واسكي غمامك، وأنسخ به غمام الغم، واهزم به جيوش الهم، ولقه بالفتح يلقك بالظم.
عطر به النّادي والحاضر والبادي، وقل للماهر الحادي به في السهل والوادي: ترقق أيها الحادي.

وعج بي نحوه عج بي

أريج المسك رياه وريح المنديل الرطب

ووداعاً ووداعاً وإلى ملتقى إن لم يحل من حائل

يارب أسكننا فسيح جنّتك، والنار نجنا منها برحمتك

واغفر لنا ما كان من ذنوبنا، وزين الإيمان في قلوبنا

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم من على هذه الأمة بالوُلاة الأخيار، وباعد عنها
وأذلّ الأشرار يا قوي يا قهار، اللهم إنا نسألك بعزتك وقدرتك وجبروتك وكبريائك وعظمتك أن تهلك طاغوت

الشام وجُنْدَه ومن أعانَه ، اللهم إنا نسألك بعزتك وقدرتك وجبروتك وكبريائك وعظمتك أن تُهلك طغات الشام والعراق وبورما ومالي وفلسطين وأفغان وأثيوبيا وجندهم ومن أعانهم ، اللهم اجعل لإخواننا من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية ، اللهم أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء ، اللهم واشف صدورهم من الأعداء ، ومكن لأهل السنة يا سميع الدعاء ، اللهم ارفع علم الجهاد ، اللهم ارفع علم الجهاد ، اللهم ارفع علم الجهاد ، واقمع أهل الزَّيغ والشر والفساد والعناد ، اللهم عليك بأهل الفساد والزندقة والإلحاد ، اللهم كن لهم بالمرصاد ، وأهلكهم هلاك عاد ، يامن له الدنيا والآخرة وإليه المَعَاد .

ونسأل الله عظيم المِنَّة ، أن ينصر الحق وأهل السنة والحمد لله خِتَامًا وابتداءً ، ثم الصلاة والسلام سرمدًا على ختام الأنبياء أجمعين ، وآله وصحبه والتابعين

تمَّت بحمد الله يوم 16-3-2014